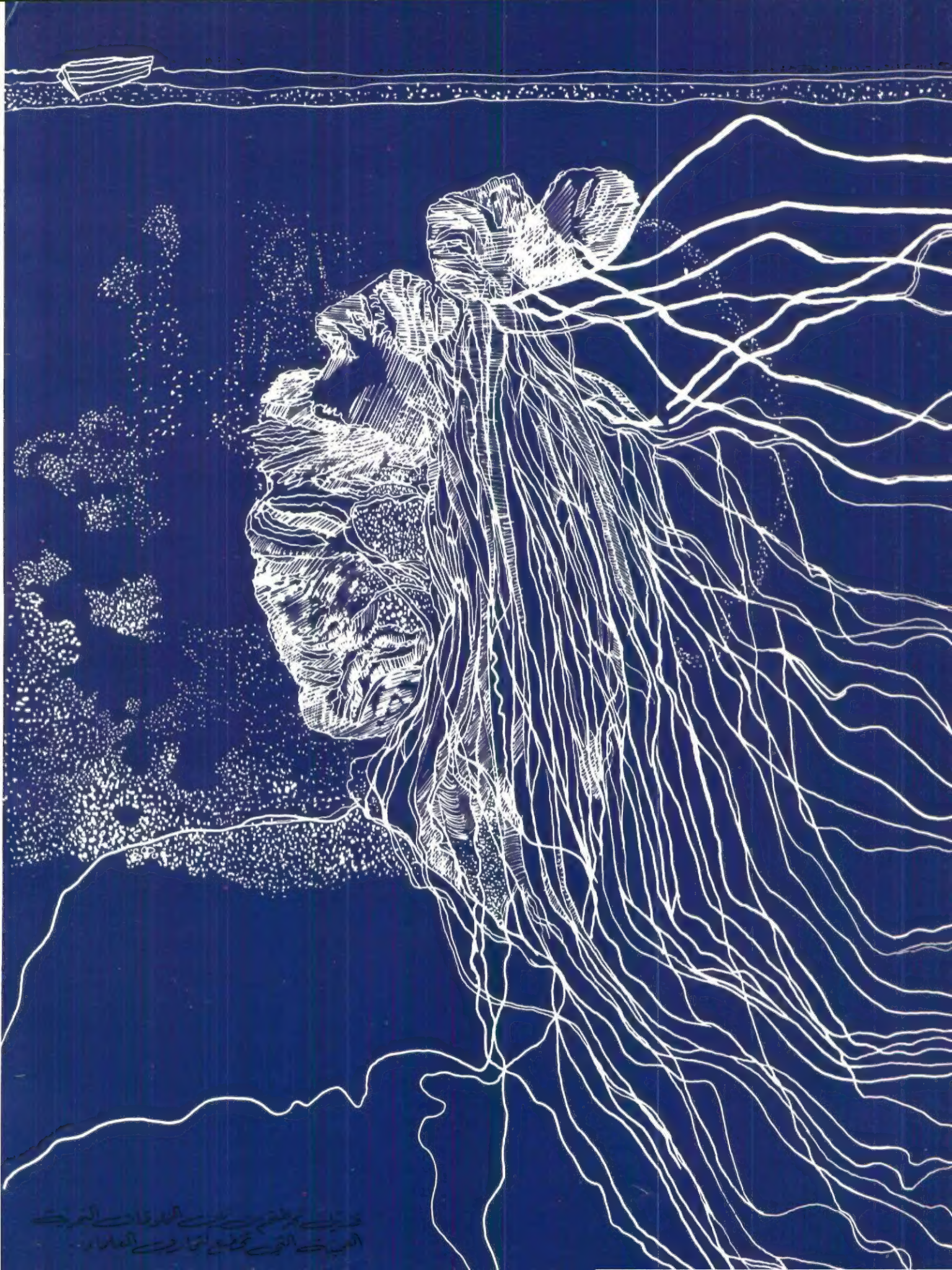


قافلة الزيت

ذو القعدة ١٣٩٤ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٧٤





وَنَزَلَ فِي ظِلِّهِ فِي يَوْمٍ ذُو قُرَّةٍ
الْمُبَارَكَةِ الَّتِي فِيهَا كُنْتَ رَاكِبًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدر شهراً عن شركة «ارامكو» لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

قافلة الزيت

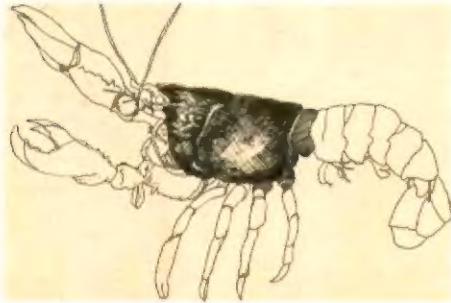
العدد الحادي عشر المجلد الثاني والعشرون

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: عبد الله صالح جمعة
رئيس التحرير: منصور مدني
المحرر المساعد: عويضة أبو كشك

محتويات العدد

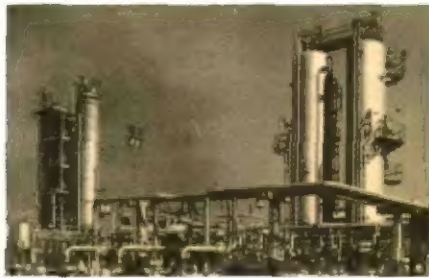
- الجزء الأخلاقي ... فكرة الخير والشر من الناحية الأخلاقية سعيد زايد ٣
الموسيقى (قصيدة) للراحل أنور العطار ٦
رأي في نشأة الوزن والقافية د. أحمد الحوفي ٧
على ضفاف النيل (قصيدة) محمود عارف ٢٤
دار القراء في المدينة المنورة (تعقيب) حمد الجاسر ٣١
دموع الفرح (قصة) حسن حسن سليمان ٣٩
شعاع من طه حسين (من حصاد الكتب) أخبار الكتب د. شكري محمد عياد ٤٢

بحوث أدبية



بحوث علمية

- الفراغ وأثره في الحياة الاجتماعية (١) د. حسن علي عفاصي ٢١
طرق الاتصال بين المحلوقات البحرية ذكرى البنا ٣٣



استطلاعات مقصورة

- إدارة الآثار في المملكة العربية السعودية سليمان نصر الله ٩
معمل التكرير في رأس تنورة ٢٥
طنجة المدينة العربية الإسلامية د. نقولا زيادة ٤٤

الزيت حوضنا العذب

- كلما ما ينشر في قافلة الزيت، يصبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجزأ عادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة، دون أدنى تحيق على أن تشكر كصندر.
- لاقتبل القافلة، إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها، وهي توشح لتلعب في النص الأصيل مطبوع على الآلة الهلالية، ومنقحة.
- يتم تنسيق المواضيع في كل عدد وفقاً لمتنصيات قنيت لا تتعلق بمكانة الكاتب أو أهمية الموضوع.
- تتنبح المآلات على النحو الذي تظفر فيه بجري عادة وفق ظروف يقتضيها نهج «القافلة».

اثنان من أعضاء البعثة الأثرية التي أوفدها إدارة الآثار إلى اليمامة يقومون بتفحص بعض المخلفات الأثرية في موقع «البنة» القريب من مدينة الخرج.

ذرة طبع الطبع - هدم
AL-NUJUM PRESS COMPANY, RAHMAN

الجزاء الخلقي



في هذا الصدد : « ان شعورنا باللذة النفسية يجب أن يكون عوضا عما قمنا به من مجهود يستحق الجزاء » .

وعلى العكس من ذلك ، فإذا أتى المرء عملا لا أخلاقيا ، فلا بد له من أن يحس بالآلم النفسي على ذلك العمل اللاأخلاقي . هذا الآلم النفسي هو ما نسميه بالتأنيب ، وهو آلم بعيد كل البعد عن أية فكرة يتقدم فيها تحقيق المنفعة أو يتقدم الوصول الى غاية معينة .

ولكن يجب ألا يبلغ التأنيب درجة تشعر النفس عندها بأنها أخطأت خطأ فاحشا لا يرجى اصلاحه . لأن مثل هذا الشعور يترتب عليه اهانة النفس ، واشعارها بعظم الخطأ وعندها يخشى أن تتأصل عادة الاجرام فيها ، فتصل الى حالة تسمى عند علماء الأخلاق بـ « الشر الأخلاقي » . فمن الواجب اذن أن يكتفى بالتأنيب باشعار النفس بأن التوفيق لم يحالفها ، وأن عدم التوفيق هنا عارض سيزول في المستقبل ، مما يبعث الأمل على السير بها في الطريق السوي .

فلاعتدال في التقريظ والتأنيب ضروري جدا ، كوسيلة للوصول الى الخير ، والبعد عن الشر . ولا يكون هذا الا بالانزان في التخلق ، والتحكم بالارادة في الوجدان والأفعال .

ويروى وجدانه وينميه ليصبح ذا نظرة شفافة يستشف من خلالها عواقب أحكامه على الأشياء وما تمليه هذه الأحكام من سنن التخلق . فإذا أخذ الانسان نفسه بهذا المنهج المتزن ، وهذه النظرة الصائبة ، اتصفت أعماله بالفضيلة . وهناك فرق بين الفضيلة والسعادة . فالأولى ، فكرة نظرية أو عقلية محضة عامة لجميع الناس ، وهي الخلق الطيب . والخلق ، كما هو معروف ، هو « عادة الارادة » فإذا اعتادت الارادة شيئا طيبا سميت هذه الصفة بالفضيلة . والانسان الفاضل ، هو الانسان ذو الخلق الطيب الذي اعتاد أن يختار العمل الذي تمليه ارادة الأخلاق .

أما السعادة ، فهي فكرة عملية خاصة بالفرد والأمة . وتختلف باختلاف الأفراد والظروف المحيطة بالفرد الواحد . فهي الغاية الأخيرة للانسان ، ويمكن تسميتها بالطبيعة الفاضلة . ولكن ما هو الارتياح ، وما هو التأنيب ؟ اذا أتى المرء عملا أخلاقيا موفقا فلا بد أن يحس في قرارة نفسه بارتياح نفسي كبير ازاء ذلك العمل . وهذا الارتياح بعيد كل البعد عن تحقيق أية فكرة للمنفعة أو الوصول الى غاية أو نزوة معينة . فهي لا تتعلق بالحس ، بل تتعلق بالعقل . ويقول العلامة « بول جانيه »

أتى الانسان فعلا من الأفعال ، فإن هذا الفعل اما أن يكون حسنا ، واما أن يكون قبيحا ، ولكلا الأمرين جزاء . فجزاء الفعل الحسن ، فوق الحمد والشكر ، شعور بالراحة النفسية التي يحسها من قدر لهم أن يقوموا بالواجب ذاته ، ومن وقفوا حياتهم لخدمة المجتمع ابتغاء مرضاة الله . وجزاء الفعل القبيح ، فوق الذم والاستنكار ، تأنيب الضمير . وشعور بالآلم النفسي . فينغص الحياة ويجعل منها سلسلة متصلة من الآلام .

وللجزاء أنواع مختلفة ، منها : الجزاء الديني ، والجزاء القانوني ، والجزاء الطبيعي ، والجزاء الأخلاقي . ويتلخص الجزاء ، كما قلنا ، في الارتياح أو التأنيب الذي يحسه الانسان في قرارة نفسه بعد اتيان الفعل الأخلاقي أي أن يحس الانسان عاقبة ما أملاه عليه الواجب أو القانون الأخلاقي في فعله . ويرى العلامة « بول جانيه » أن القانون الأخلاقي أميل الى المكافأة منه الى العقاب ، وهذا عكس القانون الوضعي الذي يميل الى العقاب والذي تفرض نصوصه حتما العقاب الخارجي . ولكي تتسم أفعال الانسان بالفضيلة ، يجب أن يتجسم الجزاء الأخلاقي في فكرة ، فينظر الى بعد ويتصور العاقبة قبل البدء .

فكرة الخير والشّر من الناحية الأخلاقية

بقلم: الأستاذ سعيد زايد

الجناية ، وبصاحبه في ذلك الجزاء الأخلاقي .
فالقانون الوضعي ، في الواقع ، قائم على القانون
الأخلاقي ، لأن الأخلاق تفرض شكلها
وتأثيرها على الأفعال القانونية . فمثلا « لا تسرق »
و « لا تتحرر » و « لا تخن الأمانة » ، قوانين
عامة ومتبعة في معظم الدول على اختلافها ،
ويعاقب القانون الوضعي فيها من يتعدى عليها .
وهي مع ذلك قوانين أخلاقية .

وخالف أمره ، وهو الأمل المرتقب لمن فاته
الثواب في الدنيا ، والشبح المخيف لمن أفلت
من عقاب العاجلة .

الجزء الطبيعى

وهو عبارة عن النتائج التي تلحق بالبدن
من جراء أفعالنا الأخلاقية حسنة كانت أم
قبيحة . فمثلا القناعة في المأكل والمشرب
تؤدي حتما الى أن تظل الصحة سليمة ،
بينما الشره يؤدي الى تعدد الأمراض ، والرياضة
البدنية تكسب الأجسام مناعة وتورث البهجة
والسرور والانشرح ، والنظرة الى الحياة نظرة
متفائلة مملوءة بحب الخير والبعد عن الشرور
والآثام وصدق رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم ، حين قال : « ان لبدنك عليك حقا . »
وكذلك الاجتهاد في العمل يؤدي الى الانشرح
بينما الكسل يؤدي الى الخمول الذي يورث
المراء آلاما نفسية مبرحة ويفقده مركزه في
الهيئة الاجتماعية .

ويجب ألا يغيب عن البال أن الأساس
الذي تقوم عليه فكرة الجزاء هو فكرة العدل
لا فكرة المنفعة . فالفرد يعمل عمل القاضي
ازاء نفسه ، اذ يزن أفعاله وتصرفاته في شتى
الميادين بميزان دقيق ، وينظر اليها نظرة المحايد
الذي وكل اليه الفصل والحكم في أمر من
الأمر ، والذي يرى أن من الواجب عليه
تقرير الحقيقة دون تحيز أو محاباة . لأن الجزاء
يأتي عادة عند انتهاء الفعل الأخلاقي ، ومهمته
تقريبه في ذاته ، لا ليتخذ منه وسيلة لغرض
معين . أما القاضي فهو الوجدان نفسه الذي
يزن التخلق ، لا يحابي ولا يظلم ، لأنه بعيد
عن المادة الخارجية ، ولأنه داخلي نفسي
لا يهتم ببواعث التصرف المتعدد الاتجاهات
بين الأنانية والغيرية . فمهمة الالتزام هي
تحديد البعد أو القرب في دائرة العقل من
القانون الأخلاقي أو الواجب الذي لا يتطلب
الا أن يفعل ويتحقق لذاته لأنه يأمر وأوامره
لذاته ليست بحاجة الى شيء خارجي .

الجزء الاجتماعى

وهو ذلك الحكم الذي ينعكس على
أفعالنا وطباعنا وتصرفاتنا ، فالإنسان كائن
اجتماعي ، وهو مدني بالطبع كما يقول العلامة
« ابن خلدون » . وما دام كذلك فهو لا يستطيع
بوجه عام ، أن يحيا الا في مجتمع ، والحياة في
المجتمع تستدعي طرح الأنانية جانبا لتستقيم
الحياة .. فكل عمل شريف يحظى بالاحترام
والتقدير .

الجزء النفسى والاخلاقي

وهو كما أشرنا سابقا ، تأنيب الضمير ،
ويتناول الفعل الأخلاقي كنتيجة موفقة أو غير

الجزء القانونى

ويوجد على الأخص في دائرة القانون
الجناي ، ويقع ضد من يرتكب الأفعال

الجزء الدينى المحض

وهو ثواب الله في الآخرة لمن أطاع ربه
وامتثل أمره ، وعقابه لمن خرج عن طاعته

موفقة ، وسيله الى ذلك التحديد وهو تحقق فكرة الواجب والقانون الأخلاقي في الفعل . وبعد ، هل يوصلنا الانتباه الى الجزاء وأنواعه الى الخير والسعادة في الحياة ؟ ان الجواب يكون بالإيجاب اذا كان الجزاء (ثوابا كان أم عقابا) أخلاقيا محضا ، لأن الجزاء النفساني الداخلي يستطيع الانسان أن يحققه بالاعتدال ، اذا خلصت نيته وصفت ارادته عن شائبة الأغراض والزوات ، فراحة النفس ، وحب الخير ، والاعتدال في الفعل ، كل هذه الأمور في ميسور الانسان تحقيقها لتجعله يشعر بالسعادة ويدرك نواحي الخير في الحياة .

هذا ، في الغالب ، لا يتحقق ، لأن الجزاء الأخلاقي ليس هو الجزاء الوحيد في الحياة الدنيا ، فالى جواره توجد جزاءات دنيوية لا علاقة لها بالأخلاق ولا بداخلة النفس ، مثل « الثروة التي يرثها الانسان عن أبويه » ، و « الأمراض التي تصيب الجسم » والمواقف الخطرة التي يواجهها الانسان في مجرى حياته ، وما الى ذلك من الأمور الخارجية التي لا تمت للارادة بصلة ، والتي لاحظها الرواقيون من قديم الزمان ، وهي التي تفسد على الانسان صفاء نفسه واتزان ارادته في الحكم . ليس من المغالاة في شيء أن يقصر بعض العلماء فكرة الخير على موضوع الوجدان الأخلاقي ، فمهمة الوجدان ، كما يرونها انما هي وضع الحد الفاصل بين الخير والشر ، ويتلو ذلك التقرب من الخير والابتعاد عن الشر .

والخير مسألة نسبية ، فهو يضفي على صاحبه شعورا بالارتياح عندما يحسن به . فالمرضى مثلا . خيره الشفاء . والطالب خيره النجاح . فهو هنا ذو معنى عملي يجلب الرضا

للانسان وما يتفق ورغباته الصادقة الخيرة وهذا تعريف من الوجهة العملية قال به بعض العلماء . ويعرف العلامة « هوفدنج » الخير بأنه دوام الشعور بالارتياح حين يسعى الانسان وراءه ، ولكن سبيل الارتياح ، في رأيه ، مخوف بالمكاره والأخطار ، ومهما بذلنا من جهد لا يمكننا الوصول الى الارتياح الكامل . ويرى « هوفدنج » أن الانسان اذا استطاع أن يحد من نزواته ورغباته وصل الى الخير .

هذه صورة مختصرة عن فكرة الخير في الأخلاق . بقي أن نتناول فيما يلي فكرة الشر في الأخلاق . ما هو الشر الأخلاقي ؟ انه تخطيط الانسان في أحكامه الخلقية ، نتيجة الحفاء أو العزلة عن المجتمع البشري والخروج عن مألوف العرف لغالبية الناس سواء كان ذلك نتيجة للتكبر أو للاهمال أو لميول خاصة ، وبذلك يصبح تصرفه غريبا عن المجتمع . ويعزو بعض العلماء ذلك الى ضعف الارادة . والموهوب ، في رأيهم ، هو من يعكس أبعاد المجتمع على عقلية وتفكيره وتصرفاته ثم يظهرها في ثوب جديد ، وبذلك يعيش منسجما مع المجتمع .

فضعف الارادة يؤدي الى عدم الانسجام مع المجتمع والخضوع فقط للتصور الخاص والميول الفردية . فتغلب السليقة والطباع المباشرة على التفكير المتزن الذي هو نتيجة تفاعل الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه . فالشر الأخلاقي يكمن لدى الانسان المنطوي على نفسه والذي لا يتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه ، وينفر من العالم الخارجي ، وهذا نتيجة للجهل ، والجهل هنا ، ليس معناه عدم المعرفة ، وانما هو الاعتقاد بفكرة واضحة في النفس ، غامضة أمام الناس ، وهو أيضا نوع من الركود الفكري

يجعل صاحبه غير متلائم مع من يعيش حوله ، وقد يكون نوعا من الضعف النفسي أو العضوي . وكل هذا يعد عدم الحرية في الانسان الذي يجب عليه التخلص من هذه العيوب ليرتفع الى العالم الانساني حيث تسود الملكات النفسية والعقلية .

خلاصة رأي العلامة « هوفدنج » في فكرة الشر الأخلاقي ، وهي ممزوجة بأراء « سقراط » و « أسيونزا » . ويرى « هوفدنج » أنه يجب على الانسان أن يتقشف نفسه ليصل الى درجة الوضوح في التفكير ، فالوضوح هو الكفيل بإبعاد الشر الأخلاقي ، لأنه ينير السبيل أمام الخير .

ومن الأسباب التي تجلب الشر الأخلاقي صفة العناد ، أي الاصرار على حالة معينة تضيق الفهم الأخلاقي وتضل الانسان عن طريق الصواب . وعلاج هذا النوع من الأشخاص ينحصر في تعليمهم وتثقيفهم حتى يشعروا بخطأهم ، أو بادخالهم دور الاصلاح . وتفكير « هوفدنج » هنا يشبه الى حد كبير تفكير العلامة « ديكرات » ، فالفضيلة والحق شيء واحد ، ومن يمكنه الوصول الى أحدهما لابد أن يصل الى الثاني . أما الغموض والابهام فهو الخطأ العقلي ، وهو لا يوجد الا عند أولئك الذين يجعلون السيادة للحس والشعور والأغراض الوضعية وبذلك تصبح نفوسهم مضطربة غير مطمئنة .

فالشر الأخلاقي لا يأتي نتيجة لضلال الارادة عن العقل ، أي لعدم خضوعها لأغراض العقل الواضحة . فالعقل قبس من نور الله يرمي ، عن طريق الارادة ، الى الوصول الى الفضيلة . فمن ضل عن الفضيلة أصبح ناقص التكوين الخلقي ■

سعيد زاهد - القاهرة

فمنك على الأيام يحلو التزئم
معالمه يضحك على الدهر مأتهم
ويسعد من فوق الثرى المتعقم
كأنك شهد لم يخالطه علقم
ولا تبخلي فالبخل طبع مدمم
فيأنس مهجور ويجبا متيم
وتغنم منك الصقو ، والصقو يغنم
فأنت لها الثغر الذي يتبسم
رأت فيك ما يحمي ويرعى وبعضم

تبث الهوى حينا وحينا تكلم
وهبت مغانيها اللطاف تجم
ويسعدني منها البنان المعتم
وعين من الاشفاق راحت تلم
وتطوي الأسى والحزن جيش عومرم
فأبسر ما يشفي النفوس التوهم
وأخينا من ظننها لا تصرم
ولكنها هم لثقل ومغرم

وتتحمين الغيب ، والغيب مظلم
فيرجع مهذا بالطفولة يحلم
وتمرع جنات وتندى وتنعم
ولكنهم في دارة القلب خيموا
وأشاقهم والدمع في مقلتي دم
« أرى عظما بالبين والصّد أعظم »
لاطرب ألحان الحياة وأرحم
له من نجاواهم عزاء ومغرم
ولا ابتعدوا عني ولا اعتضت عنهم
ونرعى الهوى ، والحب قبر مهدم

ولا تمنعني في الصّد فالصد مقم
يغلغل في التجوى طويلا ويسهم
الى ظله يأوي النبوغ ويجثم
حلاوتها تقصي الهموم وتهزم

ورابضة الطبع الذي لا يقوم
وما زالت الألحان تموم وتعظم
إذا ما سكنت القلب فالقلب موسم
وأبي ربيع عبقري ينمهم
وجفت فمي ان كان ليس يحوم
إذا لم تكن عمن تشكى تترجم
إذا أنت لم يسعد بك المتألم

أيا ربة الألحان غنني ورتمي
أضيئي لنا الدرب الطويل وجددي
ويقتل مغنوم وينعم معذب
كأنك دمع في ثنياه راححة
فياربة الألحان داوي جراحنا
وجودي علينا بالأناشيد سمحة
وتسعد أرواح ترى فيك برءها
إذا هاجها في ثورة الحزن هائج
وان غاها من وثبة الدهر غائل

تجسدت الألحان حقًا وأقبلت
فهايتك ليلي القلب لاحت خيامها
يرنّ بسمعي ضحكها وحديثها
فعبين رنت من رقبة الناس خيفة
تطوف علينا بالبشاشة والرضا
فلا تنكر للخيالات والروى
حقائق ذقناها فذقنا مرارة
تقضت وما فيها ابتهاج ومغرم

تعودين بالذكرى الى غابر الهوى
وتفترشين القفر شوكا وجندلا
وتمشين بالأرض العراء فترتوي
وما غاب أحبابي الذين افتقدتهم
أحن الى لقاءهم كل شارق
وأستعظم البين المئثت كأنني
تسمعت لحن الشوق منهم وأنه
سيقى على الأيام زاد مسافر
وأحلف ما أقصى الحمام أحتني
سجية نفس ترتضي الودع خالصا

فيا نغمات الفن صبّي بأضلعي
وغنّي يربّ قلبي الى اللحن مصغيا
تسمعت منك الشدو لا شدو مثله
وعشت أمتي النفس بالفرحة التي

مهذبة الانسان مما يشوبه
سموت على دنيا الفنون رجاحة
ويا موسم الحب الذي غاب نجمه
ربيع من الذكرى ينممه الهوى
فمي منك حوام على نغماته
ويا ألمي ما أنت عني بمنقض
ويا ألمي ما أنت يوما بمسعد

الموسيقى

للشاعر الزاحل : أنور العطار

رأي في نشأة الكوزنت والقفية

رأي في نشأتها

لم ينشأ الوزن والقفية فجأة ولم ينشأ مصادفة بل تدرجا في نشأتها وفي نموها واكتماها في عدة مراحل .

(أ) فقد تكلم العرب بالنثر وسيلة للتفاهم وتحقيق المنافع ، ثم تأقن بعضهم في تعبيره ، تساميا بالمقال ، أو تصورا لعاطفة جياشة ، فتوازن كلامه توازنا نشأ منه السجع ، فأعجبه وقعه ، فأكثر هو وأمثاله من هذا الطراز ، وجبه اليهم ما له من تأثير في النفوس ورزين في الأسماح ، ولهذا كان من خصائص الممتازين بالقول الرائع ، والمعبرين عن عاطفة ، والراغبين في التأثير والاستمالة ، مثل الرؤساء والكهان والسحرة ، ليجذبوا بموسيقاه قلوب الناس ، أو ليموهوا عليهم ، ويمتلكوا مشاعرهم ، ويخدروا وعيهم ، وليحدثوهم بما يزعمون أنهم العليمون به ، فيسمع الناس عنهم مصدقين لما يقولون ، غير متبصرين في نقد ما يسمعون .

(ب) ثم تغنى الناس بهذا الكلام المسجوع ، لأنه أكثر ملاءمة للتغني وللتلحين من غير المسجوع .

وقد كان الغناء من دأب العربي وهو يقطع المسافات الطوال على ظهر راحلته تمشي به متلدة أو مرقلة وهو على ظهرها يهتز هزات تبطيء أو تسرع ، وتطول أو تقصر ، وكان الغناء من عاداته وهو يهجم في الحرب فيجري أو يشب ، ومن شأنه وهو يمتح الماء من البئر فيرتفع وينخفض ، ومن دأبه وهو يرقص ، ومن لوازمه وهو يمارس عملا تصحبه عاطفة أو تعوزه تسلية ، تنزل به النازلة فينفس عن نفسه بالغناء ، وتيسم له الحياة فيصور حيوره في غناء ، وهو اذ يغني بكلام مسجوع يتقطع صوته وفقا لحركات جسمه وهزات نفسه ، وتتقطع كلماته ومقاطعها الى أجزاء مترنة منسجمة . ومعنى هذا أن التغني بالكلام المنثور عسير ، لأنه لا يطاوع الترجيع ، ولا يلين

كانوا يقفون على الحدود في اللقاء عند بني غسان أو في الحيرة عند بني لحم والمناذرة الا قليلا » (٢) .

وهذا رأي مردود ، لأن امرأ القيس قد افتن قبل أن يرحل الى بلاد الروم افتتانه كله ، ولأنه قضى نحبه وهو عائد ، فضاع معه ما اقتبسه ان صح أنه اقتبس شيئا ، ولأن القصيدة العربية كانت قد نضجت ، واكتمل وزنها ، واستوت قافيتها قبل أن يرحل امرؤ القيس الى قيصر ، بل قبل أن يولد ، فالمهلهل مثلا خال امرؤ القيس وأسن منه له قصائد طوال جياذ ، وقد توفي سنة ٥٣١م وتوفي امرؤ القيس سنة ٥٤٨م تقريبا .

على أن شعر اليونان والرومان خال من القافية ، والأوزان العربية غير أوزان اليونان والرومان ، والموضوعات متغايرة ، فليس في الشعر الجاهلي ملاحم ولا مسرحيات كالتى عند اليونان والرومان .

رأي ابن رشيق في نشأتها

ذهب ابن رشيق الى أن العرب احتاجوا الى الغناء بمكارم أخلاقهم وطيب أعراقهم ، وذكر أيامهم الصالحة وأوطانهم النازحة ، وفرسانهم الأمجاد ، وسمحاتهم الأجواد ، فتوهوا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا ، لأنهم شعروا به أي فطنوا (٣) . لكن هذا الرأي يفضي الى أن العرب اهتموا الى الاوزان عن تمعد وقصد ومواضعة ، وليس هذا بصحيح ، لأن نتائج الالهام — والشعر إلهام — لا يخضع الى الموافقة والمواضعة .

ثم لماذا توهوا هذه الأوزان عينها ، ولم يتوهوا غيرها ؟ ولماذا لم يقتصروا على بعضها دون بعض ؟ وكيف تواضعوا عليها واتفقوا مع اختلاف ديارهم وتباعده أوطانهم وتحضر بعضهم وتبدت بعضهم ؟

غير ما تعصب لقومي وتاريخهم وأديبهم أعرض هذا الرأي عرضا موضوعيا مدعوما بما يؤيده من حق وصدق .

نشأتها العربية الخالصة

لكني قبل أن أعرض طريقة نشأتها أسارع الى تقرير أنها نشأت نشأة عربية خالصة خالية من تأثير أمة أخرى . وذلك أن الأوزان العربية ليست لأمة من الأمم القديمة ، فمثلا كان السريان القدماء ينظمون بغير أن يلتزموا قافية واحدة ، وكان العبرانيون لا يلتزمون وزنا ولا قافية ، وربما اشترطوا القافية دون الوزن (١) فصار شعرهم في صورته الأخيرة شبيها بالسجع العربي ، ولهذا لما سمعوا القرآن الكريم — وهو ذو فواصل وتصوير — زعموا أنه شعر بالقياس الى تصورهم للشعر .

ولا سبيل الى احتمال أن الوزن العربي متأثر بالفارسي ، لأن الشعر الفارسي القديم كان مجهولا للفرس أنفسهم حينما خالطوا العرب ، بل لا يزال تاريخ الأدب الفارسي الى اليوم مجهول ما كان عليه الشعر البهلوي ، ولهذا نشأ الشعر الفارسي الجديد في القرن الثالث الهجري على غرار الشعر العربي في أوزانه وقوافيه وموضوعاته مع تحوير يسير ، حتى أن الفرس نقلوا الأوزان العربية بأسمائها ، ونقلوا مصطلحات العروض كلها .

وليس من الصواب في شيء ما جنح اليه جرجي زيدان من أن الوزن العربي نشأ متأثرا بشعر اليونان أو الرومان ، اذ قال : « امرؤ القيس أول من أطال القصائد ، وافتن في نظمها ، وفتح الشعر ، وبكى ووصف .. ولعله تنبه لهذا الافتنان في أثناء أسفاره في بلاد الروم ، فسمع أشعارهم أو أشعار اليونان ، والنيبه تفتن قريحته بالاختلاط ، فزاد اختباره ، فأدخل في الشعر ما أدخله ، وكان الشعراء في الجاهلية قلما يدخلون بلاد الروم ، وإنما

للتدريب ، فلا تستحليه الأذن ولا يستسيغه اللسان . فمن الطبيعي أن يتغنى الناس بكلام موزون يساير إحسان الغناء ، وتطرب له الآذان . (ج) ولهذا تغنوا بالسجع ، لما فيه من موسيقى الوقفات ، ثم حاولوا أن يخضعوا هذه اللغة المسجوعة إلى النغمات التي تطابق العاطفة ، وتطاول التغني ، فتخيروا الكلمات المتسقة مع النغم الذي في النفس ، وتصرفوا في بعضها بتحريك الساكن أو تسكين المتحرك ، وبقصير الممدود أو مد المقصور ، وبترخيم بعض الأسماء ، وبتنوين مالا يتنون ، إلى أشباه هذا مما يسمى ضرورات شعرية .

وتصرفوا في الأوزان نفسها بحذف وزيادة وتحريك وتسكين ، مما يعد من الزخافات والعلل العروضية .

(د) فصارت اللغة التي يتغنى بها الناس لغة موزونة ثلاثم حركاتها وسكناتها ومداتها ووقفات الأنغام التي يتغنون بها ، والألحان التي يرجعونها ، والنفس وهو يطول أو يقصر ، ويسرع أو يبطئ ، فنشأ الوزن منوعا كتنوع التلحين القطري ، واستراحت النفوس إلى هذا التقطيع ، وجعل المتغنون به يولونه من عنايتهم وتجويدهم ، وجرت به الألسنة محتفية ملتدة ، ومضى على ذلك دهر كان كفيلا بنقلته من الطفولة إلى الصبا .

(هـ) ونشأت القافية هذه النشأة ، لأنها كانت في أول أمرها سجعاً ، ثم التزمت في أواخر الأبيات كلها تمثيلاً مع الغناء ، إذ أنها قوية الشبه بوقفات المغنين ، ونهايات العازفين ، وسكنات الناقرين على الدف ، والمصنفين بالأكف ، والموقعين بأرجلهم في الرقص ، فهي نهاية النفس في البيت ، واستراحة من بيت إلى بيت ، وهي مضافة إلى الوزن تكسب الشعر ريناً ، وتزيده موسيقى . وقد أسهلت القافية للشعر العربي ، لغنى اللغة بالمقررات الكثيرة ذوات النهايات الواحدة ، حتى أنه ليس من الغلو أن نقول أن الكلمات العربية

التي تنتهي بحروف متحدة يتعذر نظيرها في سائر اللغات من حيث الكثرة ، فإذا جاز للأفريقي أن يصوغ شعره شبيها بالرجز العربي على أن لكل شطرين قافيتين متحدثتين ينتقل منهما إلى غيرهما ، وقد يضطر إلى تكريرهما في القصيدة الواحدة ، وإذا جاز له أن يصوغ شعره غير مقفى أية تقفية ، فإن عذره أن لغته لا تسعفه بما تسعف به اللغة العربية شعراءها .

علاقة الشعر بالغناء

يؤيد هذا الرأي أن الشعر ارتبط بالغناء ارتباطاً وثيقاً منذ عهد قديم لأنهما يصدران عن العاطفة ويعبران عنها ، ولأن الموسيقى أساس فيهما معا .

وظاهر هذا الارتباط كثيرة في أدبنا العربي القديم وفي غيره من الآداب . فقد كان شعراء العصر الجاهلي يغنون شعرهم وينشدونه وهم يلقونه ، كما روي أن المهلهل تغنى بقصيدته التي مطلعها :

طفلة ما ابنة المحلل بيضاء

لعوب للذبذة في العناق (٤)
والسليك بن السلكة غنى بقصيدته :

يا صاحبيّ الا لا حسيّ بالسوادي

سوى عيسد وأم بين اذواد (٥)
وكان الأعشى يغني بشعره ، وكان العرب يسمونه صناجة العرب (٦) .

والشاعر الجاهلي مزرد بن ضرار الذبياني يهدد أعداءه بهجاء اليم يتغنى به الساري ويحدو به حادي الأبل :

زعيم لمن قاذفته بأوايد

يفني بها الساري وتحدي الرواحل (٧)
وأبو النجم - في العصر الإسلامي - يطلب من قينة أن تغني ببعض ما كان يتغنى به امرؤ القيس أو عمرو :

تغني فإن اليوم يوم من الصبا

ببعض الذي غنى امرؤ القيس أو عمرو

وقد قال عمر بن الخطاب للناطقة الجعدي : أسمعني بعض ما عفا الله لك من غنائك ، فأسمعه أبياتا له ، فقال عمر : وانك لقائلاها ؟ قال : نعم ، قال عمر : لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب . (٨)

وظلت اللغة العربية محتفظة بلفظ الانشاد للدلالة على القاء الشعر وإن لم يصاحبه غناء ، مما يدل على صلة عريقة بين هذين الفنين ، قال حسان بن ثابت :

تغن بالشعر اما كنت قائله

ان الغناء لهذا الشعر مضممار (٩)
ولم يكن الشعر العربي وحده هو المتصل بالغناء هذا الاتصال الوثيق ، فقد كان الشعر اليوناني كذلك ولهذا أطلق اليونان على الشاعر كلمة Aede أي المغني في القرن الثاني عشر والحادى عشر قبل الميلاد ، وكان « هومير » يتغنى بالابادة على آلة موسيقية خاصة .

على أن الشعر الغنائي استمد تسميته هذه من نسبته إلى كلمة Lyre وهي آلة موسيقية قديمة تسمى Lyric Poetry أي الشعر الغنائي . وفي اللغة الانجليزية كلمة Bard معناها الشاعر المنشد الذي يؤلف الشعر ويغنيه ، وهو يحمل معه أداة موسيقية يعزف عليها حين يلقي شعره ويغنيه .

ثم نشأت بأوروبا في العصور الوسطى جماعات من الشعراء الغنائيين أطلق عليهم في غربي أوروبا وفي وسطها التروبادور ، وكانوا كثيراً ما يتغنون بشعرهم أنفسهم .

هـ - ولست أشك في أن هذه النشأة الغنائية لشعرا العربي هي التي مكنت الخليل ابن أحمد من أن يهتدي إلى علم العروض ، لأنه لو لم يكن عالماً بالموسيقى والتوقع ما تهدي إلى الكشف عن قواعد هذا العلم ، وحسبنا أنه ألف كتاباً في النغم ذكره ابن خلكان (١٠) وكان اخوان الصفا على حق إذ رأوا أن الموسيقى مماثلة لقوانين العروض (١١) ■

إدارة الآثار في المملكة العربية السعودية



درهم فضي من العصر الأموي عثر عليه في المنجارة بمنطقة جيزان كتب على وجهه وفي وسطه : ضرب هذا الدرهم بواسط سنة ست وثمانين للهجرة . لا اله الا الله وحده لا شريك له . وكتب على ظهره : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وفي مدين بئر شعيب التي التقى عندها موسى عليه السلام ، بزوجه ابنة نبي الله شعيب ، وغير ذلك كثير .
وأدراكا من حكومة المملكة العربية السعودية لأهمية ربط الماضي بالحاضر لشق طريق المستقبل ، فقد أولت المناطق التاريخية عناية كبيرة ، فأوجدت إدارة الآثار بوزارة المعارف لتشرف على هذه المناطق ، وتضطلع بعمليات البحث والتنقيب والحفر ، للكشف عن مخلفات الحضارات القديمة واستنطاقها لاستكمال السلسلة الطويلة التي تؤلف حلقاتها قصة الانسان على الأرض .

مبثوثة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم . فاني سرت في الجزيرة العربية تشاهد من آثار الأولين ما لا يقع تحت حصر . ففي مدائن صالح ، مسرح قصة ثمود ، البيوت المنحوتة ، في الصخر والمزينة مداخلها بالنقوش الرائعة ، وفي نجران ترتفع أطلال مدينة الأخدود ، وفي دومة الجندل بقايا حصن مارد ، وفي الأفلاج أطلال مدينة الهيصمية ، وفي الحرج آثار مدينة اليمامة ، وفي قيد قصر خراش وبرك زبيدة ، وفي المنطقة الشرقية آثار هجر والبحراء والعقير وتاروت والجبيل وثاج وجاوان ،

العربية السعودية بلد التاريخ ، تلاشت الحضارات الزاهية على أرضها منذ أحقاب بعيدة ، وخلفت وراءها آثارا عميقة لا تزال تتردد أصداؤها فيما تناقله الرواة والمؤرخون من قصص ممتعة امتزج فيها التاريخ بالأسطورة والخيال بالحقيقة . وقد أشارت الكتب السماوية وفي طليعتها القرآن الكريم بشكل واضح الى تلك الأقوام التي عاشت في كنف الجزيرة العربية من قديم الزمان ثم اندثرت . فتلكم أخبار عاد وثمود ومدين وأصحاب الأيكة وأصحاب الأخدود ،

المملكة



لوحة مسافات من الحجر الأسود
عثر عليها في طريق الحج المعروف بدروب
زبيدة ، ويعود تاريخها الى القرن الثالث الهجري وتقرأ
كما يلي : ميل من البريد وهو على التين وستين بريد من الكوفة .

المواطنين بتاريخ بلادهم القديم . هذا ويقتضي القرار زيارة واستكشاف المواقع والمباني الأثرية في شتى أنحاء المملكة تمهيدا لعمل سجل عام للآثار يحتوي على أدق وأوفر المعلومات التاريخية عن كل موقع ومبنى ، ويكون مدعما بالصور والخرائط والرسوم . ومن بين الأهداف الأخرى الحيلولة دون اتلاف أو هدم أو تخريب المواقع الأثرية عن طريق وضع أنظمة وقوانين لهذا الغرض ، وتعيين حراس للمناطق الأثرية المهمة . كما يدعو القرار ادارة الآثار الى صيانة المباني الأثرية وتقويتها ضد عوامل

دارس وباحث . وقد تنبته حكومة المملكة العربية السعودية الى الكنوز الأثرية التي تخزنها أرضها الطيبة ، فبادرت عام ١٣٨٣ هـ الى انشاء « ادارة الآثار » بوزارة المعارف بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ٧٢٧ الصادر في الثامن من شهر ذي القعدة عام ١٣٨٣ . وقد حدد القرار الأهداف والغايات المتوخاة من تأسيس ادارة الآثار . ولعل أبرز تلك الأهداف هو جمع مخلفات الماضي التي تعكس أنماط الحياة في البلاد وتاريخها وتراثها الحضاري والديني ، وعرضها في متاحف ومعارض لتعريف

جزيرة العرب اليوم هي عطاء أنظار المؤرخين والباحثين وعلماء الآثار الذين تحدوهم الرغبة الى التعرف على معالم تلك الحضارات العريقة التي تعاقبت عليها لأحقاب طويلة ، والوقوف على الآثار والنقوش المنتشرة في أرجائها . وقد وفد الى الجزيرة العربية العديد من هؤلاء الباحثين والمستكشفين وقطعوا النجاد والوهاد في رحلات استطلاعية علمية ، وسجلوا مشاهداتهم في أسفار قيمة تعتبر من المراجع الأساسية لكل

الزمن ، وتحسين وتجميل المواقع الأثرية تنشيطاً لفعالياتها السياحية ، ثم العمل على الكشف عن غوامض تاريخ البلاد والحلقات المفقودة في التسلسل الزمني للعصور التاريخية ، عن طريق اجراء حفريات في المواقع الأثرية البارزة التي قد تسفر عن نتائج طيبة يتم بها توضيح الحضارات القديمة التي عرفتها الجزيرة عبر تاريخها الطويل ، ومن ثم تعريف المواطنين وغيرهم بهذه الحضارات من خلال ما يعرض من مكتشفات في متاحف ومعارض دائمة أو متنقلة .

ولما كانت المملكة العربية السعودية تحتل رقعة جغرافية واسعة تزخر بالمخلفات الأثرية فإن المهام التي القيت على كاهل هذه الادارة الناشئة جسيمة . ومع ذلك فقد استطاعت بجهازها البسيط في سنها الأولى المحافظة على الآثار بتعيين حراس للمواقع الأثرية البارزة لحماية تلك المناطق من أي عبث أو تشويه . وقد اتجهت الادارة منذ انشائها الى تأجيل القيام باجراء الحفريات الأثرية الواسعة نظراً لما يتطلبه ذلك من امكانيات علمية وفنية ومادية لم تتوفر لدى تلك الادارة الناشئة حينذاك .

ولذا ركزت جهودها على عمليات المسح الأثري والقيام برحلات استكشافية وتسجيل المواقع والمباني الأثرية بقصد تحضير سجل عام للآثار في المملكة . وراحت ادارة الآثار تسير بخطى وثيدة بسبب تقلص جهازها الفني واقتنارها الى العديد من أجهزة المعامل والمختبرات الفنية التي لا غنى عنها لأية ادارة آثار حديثة . وبقيت على تلك الحال حتى منتصف عام ١٣٩٢ حين صدر المرسوم الملكي الكريم رقم م/٢٦ الصادر في ١٣٩٢/٦/٢٣ ، الذي تم بموجبه المصادقة على نظام الآثار ، وانشاء المجلس الأعلى للآثار . وبدل ذلك المرسوم الملكي الكريم على مدى اهتمام جلالة الملك فيصل المعظم بتاريخ الجزيرة العربية ، والمحافظة على تراثها العريق فقد وضع ذلك المرسوم اللبنة الأساسية لادارة الآثار . كما رسم نظام الآثار ، الذي يشمل سبعة فصول تتألف من ٧٩ مادة ، الخطوط العريضة التي تسير عليها وبذلك غدت ادارة الآثار جهازاً شبه مستقل ، له ميزانية خاصة ضمن النطاق الهيكلي لوزارة المعارف . هذا وقد وضعت مؤخراً خطة خمسية تبدأ من عام ٩٦/٩٥ تهدف الى تطوير جهاز الآثار ليصبح على درجة



لتقيب عن لآثار عمية شقة تشرع فيه كفاءات عمية مختنمة ، وه هو المسح الأثري يستخدم شيودويت في عمل محمد كنثوري للموقع .

كبيرة من الكفاءة والمقدرة يستطيع معها القيام بالمهام الكبيرة المنوطة به .

المجلس الأعلى للآثار

ينعكس اهتمام الدولة بالآثار جلياً من ايجاد المجلس الأعلى للآثار الذي يولي ادارة الآثار عناية خاصة ، استطاعت من خلالها انجاز أعمال بارزة في فترة وجيزة لا تزيد عن السنتين . ويتألف المجلس الأعلى للآثار حالياً من معالي وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ رئيساً ، ووكيل وزارة المعارف للشؤون الادارية والتعليمية سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد نائباً للرئيس ، وعضوية كل من مندوب عن وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، ومندوب عن وزارة الداخلية، ومندوب عن وزارة المعارف ، ومندوب عن وزارة الحج والأوقاف ، ومندوب عن وزارة الاعلام ، ومدير ادارة الآثار ، بالإضافة الى عضوين يختارهما رئيس المجلس من بين المواطنين المعروفين بمكانتهم العلمية المرموقة واهتمامهم بالآثار والحضارات على أن تكون مدة عضويتهم سنتين قابلة للتجديد . والهدف من ايجاد المجلس الأعلى للآثار هو تجميع أكبر قدر

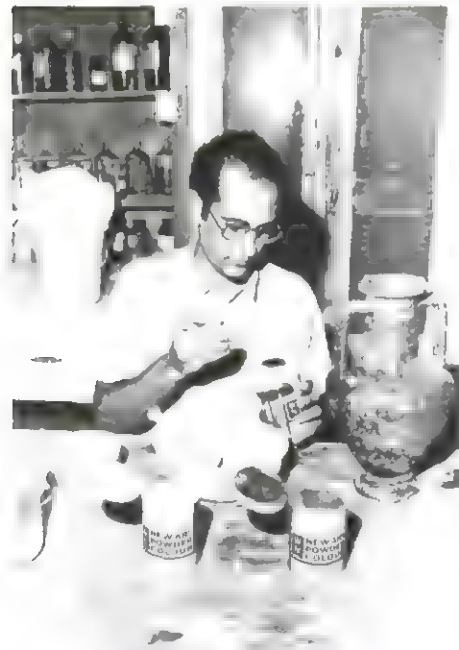
من الخبرات لضمان وصول ادارة الآثار الى غاياتها المرجوة . ويختص المجلس بالنظر في مسائل كثيرة منها اقتراح السياسة العامة لادارة الآثار في مجالات صيانة وترميم وتجميل وحفر المناطق الأثرية ، وتعديل نظام الآثار والقرارات الوزارية، وبيع واهداء وتبادل واعارة وقبول هبات الآثار، ودراسة التقرير السنوي الذي يضعه مدير ادارة الآثار عن أعمالها واقتراح ما يراه بشأن المسائل الواردة فيه ، وانشاء متاحف جديدة ومعالجة القضايا المتعلقة بالآثار بناء على توصيات مدير الآثار . ويعقد المجلس الأعلى للآثار اجتماعين على الأقل كل عام وكلما دعت الحاجة الى ذلك .

أقسام إدارة الآثار والقوى العاملة فيها

راحت ادارة الآثار منذ صدور نظام الآثار وتأليف المجلس الأعلى للآثار ، تنظم جهازها وتعزيزه بالكفاءات الادارية والفنية والخبرات العلمية الوطنية والعربية . ولعل الطاقات الشابة المتوفرة لدى الادارة وعلى رأسها الأستاذ الدكتور عبد الله حسن مصري ، مدير ادارة الآثار ، هي التي تدفع بالجهاز الأثري خطوات واسعة نحو التكامل وتحقيق أهداف خطة التطوير المقررة .

وتشتمل ادارة الآثار التي تحتل موقعاً جلياً في أحد مباني معهد العاصمة النموذجي بالرياض ، على وحدات مختلفة تنطوي تحت « القسم الفني » ثم المتحف ، وقسم التسجيل والتوثيق والادارة . وفي مقابلة لنا مع الأستاذ ياسر أحمد طباع ، رئيس القسم الفني ، أوضح لنا المهام الرئيسية المنوطة بهذا القسم بقوله : ان عملنا ينحصر في تسجيل وتوثيق المعلومات من القطع الأثرية التي يتم العثور عليها ، تمهيداً لوضعها في المتحف . أما بالنسبة للمباني الأثرية فإننا بعد تسجيلها ووضع مخطط تفصيلي لها ، نعكف على دراسة مواد البناء التي استخدمت فيها ، وبمعنى آخر ندرس الوضع السكوني « Static Studies » لها ، تمهيداً للقيام بعمليات الترميم الخاصة بها واستعادة الأقسام المتهدمة منها بشكل يحفظ لها رونقها وطابعها المعماري . ولما كانت طبيعة العمل بين فروع القسم متداخلة لذا تخضع نشاطاتنا لعملية تنسيق دقيقة بين فروع القسم لكي نتوصل الى أفضل النتائج . ففي حالة اكتشاف قطعة أثرية في إحدى الحفائر تصور

تلك الأملاح . أما اذا كان الأثر مشتملا على فواصل أو فوالق ، عندها نعمل الى تحضير معجون يعمل على تماسك أجزاء الأثر ويتسجم بلونه معه . وفي حالة تهشم الأثر الى مزق صغيرة ، عندها يحتاج الأمر الى عناية فائقة ودراسة متفحصة لاعادة كل كسرة الى مكانها الأصلي في محاولة لاستعادة الأثر باستخدام مواد اللصق المناسبة . وفي بعض الحالات تتطلب بعض القطع الأثرية استكمال أجزائها المفقودة ، ويتم ذلك بتحضير مادة ملائمة لمادة الأثر ذاته فخاريا كان أو خزفيا أو حجريا أو خشبيا ، ويراعى في بناء الجزء المفقود التناسق الفني بينه وبين القطعة الأثرية ليضفي عليه الأصالة والقيمة التاريخية . وكثيرا ما تعالج حالات التآكل وضعف سطوح القطع الأثرية بالمحاليل الكيميائية القوية . هذا ويعمل المرمم في كثير من الأحيان الى عزل القطعة الأثرية يرشها بأحدى المواد المثبتة للذرات والعازلة في الوقت ذاته لتأثير العوامل الجوية المحيطة بها . وكما أن لكل فن من الفنون أدواته التي تستخدم في إبراز معالنه وتشكيل مادته ، فإن فن الترميم والمعالجة الأثرية له أدواته ومواده من طبيعية وكيمياوية . ان تقنية الترميم الحديث تعتمد أساسا على ما تقدمه الأبحاث العلمية في هذا المجال من فحص بالأشعة الى تصوير



عملية ترميم القطع الأثرية تتطلب ذوق رفيع ودقة متناهية في مزج الألوان وخلط المواد ليكتسب لأثر أصالته الأثرية .

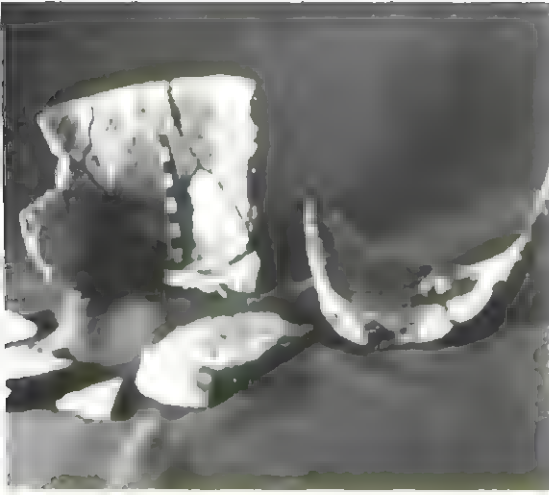
وتتلخص مهام هذا القسم في قيامه بأعمال التسجيل العلمي عن طريق عمل رسومات تفصيلية دقيقة لمختلف القطع الأثرية المنقولة كالأواني الفخارية والخزفية ونقوشها وزخارفها ، يستوي في ذلك القطع الموجودة في ادارة الآثار أو التي يتم الكشف عنها أو شراؤها ، وكذلك النقوش الحجرية والحصية والخشبية والكتابات والمسكوكات وما الى ذلك . كما يقوم قسم الرسم بأعمال التسجيل المعماري للمباني الأثرية القائمة أو المكتشفة في مختلف المناطق وما تحتوي عليه من نقوش أو زخارف بالإضافة الى رفع وتسجيل الرسومات المعمارية والهندسية لأعمال الحفائر والتنقيبات وما تسفر عنه من مكتشفات اعدادا للنشر العلمي .

بعد أن ترسم القطعة تعاد الى قسم الترميم والمعالجة الأثرية ليتولى المرمم عملية ترميمها أو تقويتها لتستعيد القطعة شكلها الأصلي التقريبي . وهذا العمل يتطلب من المرمم الفنان براعة ودقة فائقتين ، والمأما وأسعا بالحامات والعناصر الأولية التي تتكون منها القطع الأثرية . ويعتبر علاج وصيانة الآثار الرسالة الأساسية لادارة الآثار التي قامت للحفاظ على التراث الأثري والحضاري للمملكة العربية السعودية . إذ أنه بدون علاج الآثار وصيانتها يتعذر على الباحثين من علماء الآثار والدارسين لمراحل التاريخ الانساني والمهتمين بشؤون الثقافة العامة تأدية رسالتهم على الوجه الأكمل . والترميم هو أحد الفنون الجميلة التطبيقية كالنقش والنحت والزخرفة والخزف وغيرها . ويشرح لنا الأستاذ محمد الطيب علي ، مرمم الآثار في الادارة الطريقة المتبعة في ترميم الآثار فيقول : قبل البدء في عمليات العلاج والترميم لأي أثر على اختلاف مادته ، فاننا ندرس المعلومات الوصفية المتعلقة بالأثر وذلك ما يسمى بالفحص المبدئي أو النظري . ثم تسجل جميع الملاحظات كتابة قبل اجراء عملية تحليل كيميائي لما قد يكون على سطح الأثر من مخلفات عضوية لتحديد الطريقة المناسبة في تنفيذ خطوات العلاج . بعد ذلك يصور الأثر فوتوغرافيا لاثبات حالته قبل العلاج والترميم . ومن ثم نبدأ في تنفيذ خطوات العلاج ، بإزالة المخلفات العضوية عن الأثر اذا وجدت بما يناسبها من المحاليل الكيميائية ، كما تزال عنه الأتربة والعوالق الأخرى . واذا كان الأثر مصابا بالأملاح فاننا نستخدم طرقا علاجية خاصة باستخلاص

حال العثور عليها في الموقع ذاته ، ثم تسجل على بطاقة الحقل « Field Identification Label » جميع المعلومات التفصيلية عنها ، كاسم المنطقة التي اكتشفت فيها القطعة ، والطبقة التي وجدت فيها في الحفيرة ، وتحديد مكان العثور عليها بالنسبة لنقاط ثابتة في الحفيرة ، وتاريخ العثور ، واسم البعثة الأثرية ، وطريقة العثور ، ونوع القطعة الأثرية وأوصافها ومقاييسها وعصرها ومصدرها ، والمادة المصنوعة منها . بعد ذلك ترسل القطعة الى قسم التصوير حيث يقوم المصور في ادارة الآثار بتصوير القطعة على حالتها الطبيعية من زوايا مختلفة . وتعاد الى رئيس القسم الفني لتعطى رقما خاصا بها ولتقرير الفحوصات المخبرية اللازمة لمعرفة تركيبها الكيميائي وعمرها وحالتها بغية اجراء عمليات التقوية والترميم لها . ثم تنقل القطعة الى قسم الترميم والمعالجة الأثرية ليرى المرمم فيها رأيه ويسجل ملاحظاته عليها ، بعدها يقوم بتنظيفها تنظيفا مبدئيا من الأتربة العالقة بها وما شابه ذلك ، لتحال بعد ذلك الى قسم الرسم . وهنا يقوم الرسام برسم القطعة بالألوان أحيانا وبالأسود أحيانا أخرى ، وذلك لظهور التفاصيل الدقيقة لها التي تساعد في عملية ترميمها . وهذا يحتاج من الرسام قدرا كبيرا من الكفاية والدقة والتركيز والأمانة في النقل .



نرسام يبرز التفاصيل الدقيقة للقطعة الأثرية قبل ان يرسمها في المرمم معجنتها



لابراز الحياة الحديثة والقديمة المجاورة للموقع الأثري . أما بالنسبة للمسح الأثري للأملاك فيقوم المساح برفع الأراضي أو العقارات المجاورة للآثار تمهيدا لاستلام المناطق الأثرية وحمايتها . وكثيرا ما يرافق المساح الأثري البعثات الأثرية وعلماء الآثار لتقديم المساعدة لهم . وعلاوة على ذلك فإن المساح يربط بين العمل الحقل والمكتبي فيقوم بإجراء الحسابات والرسم والتحرير وحفظ وتنظيم الخرائط المساحية على اختلاف أنواعها .

وفي مجال المسح الأثري هناك برنامج ضخم للقيام بمسح أثري شامل للمملكة لحصر ومعرفة المعالم والمناطق والمواقع الأثرية في أرجائها باستخدام الأساليب والطرق العلمية الحديثة . وسيشرع في هذا البرنامج بعد الدراسات التمهيدية في العام المالي ٩٥/٩٦ . ونظرا لاتساع رقعة المملكة العربية السعودية فقد ارتأت الإدارة تقسيم المملكة الى ست مناطق تسهلا لعمليات المسح الأثري وهي : المنطقة الشرقية ، والمنطقة الشمالية المحصورة بين الدهناء شرقا والمنطقة الغربية غربا وحدود المملكة شمالا ونجد جنوبا وتشمل القصيم وحائل وسكاكا والحواف ، والمنطقة الشمالية الغربية وتشمل منطقة الساحل الشمالي الغربي الى خط عرض المدينة المنورة وتمتد نحو ٢٥٠ كيلومترا الى الشرق وتضم مواقع أثرية بارزة منها مدائن صالح وتيماء وقرية وغيرها ، ومنطقة الساحل الغربي من

بالفوتوجراميتير الى غير ذلك مما لا يقع تحت حصر .

وبعد أن يرمم الأثر بالطرق الآتية الذكر ، يصور لاثبات حالته بعد اجراء عمليات الترميم والعلاج له ، ثم يرسل الى أمين المتحف حيث يقوم قسم التسجيل والتوثيق بجمع كل المعلومات المتوفرة عن الأثر لوضعها في بطاقة معدة لهذا الغرض تثبت عليه ، ليستفيد منها الباحثون والدارسون . ويقرر أمين المتحف فيما اذا كانت القطعة الأثرية ستحفظ في المستودع أو تعرض في قاعات المتحف ، وفي كلتا الحالتين تعطى رقما متسلسلا لتسهيل عملية استخراجها والوصول اليها . وبالإضافة الى فروع القسم الفني التي سبق ذكرها ، هناك قسم الهندسة والمسح الأثري والأملاك الذي يقوم بدوره جنبا الى جنب مع بقية الأقسام الفنية بالإدارة . فمهندس الآثار يتولى دراسة الأثر من الناحية الهندسية والمعمارية ويقرر أنجع الوسائل لترميم الأثر . أما المساح الأثري فتقع عليه مسؤولية توفير الخرائط المساحية وخرائط الأملاك والمناطق الأثرية ، تمهيدا للدراسة وإعدادا للبحث والتصوير والتنقيب والحفر . فنراه يرافق خبير الآثار للوقوف على معالم المواقع الأثرية المكتشفة حديثا لانجاز مخططات موقعية للآثار تدعم التقرير الاستكشافي الطبوغرافي . ويقوم المساح بتعيين المواقع على الخرائط الجيوديسية للمنطقة ، وعمل مخططات تفصيلية ومقاطع دقيقة للمواقع الأثرية

خط عرض المدينة المنورة الى حدود المملكة جنوبا بعمق ٢٥٠ كيلومترا الى الشرق وتضم مكة المكرمة وجدة والطائف وجيزان ، والمنطقة الجنوبية الغربية الداخلية وتضم عسير ونجران ومشاف الربع الخالي الشمالية الغربية والسيليل ، والمنطقة الوسطى وتشمل جميع نجد . وقد أوضح لنا سعادة الدكتور عبد الله حسن مصري سبب اختيار المنطقة الشرقية كأول منطقة يجري المسح الأثري لها قائلا : لقد سلطت الأضواء على هذه المنطقة أكثر من غيرها بحكم احتكاكها المباشر بالشرق والغرب منذ أقدم الأزمنة ، ثم انتشار هواية البحث عن الآثار فيها ، جعلنا نضعها على رأس القائمة كمنطقة معروفة أثريا أكثر من



تنسب الى المستعمرة المعروفة باسم « معين مصران » كما وجدت نقوش لحياينة عديدة فيها ذكر للملك حيان . وفي مطلع القرن العشرين أخذ عدد المهتمين بماضي الجزيرة يتزايد تدريجيا . فهذا العلامة التشيكي «موسل - Alois Musil» يقوم في الفترة ما بين ١٩٠٨ و ١٩١٤ بسلسلة من الرحلات الاستكشافية التي ألقت مزيدا من الضوء على تاريخ الجزيرة وكنوزها الأثرية ، لا سيما الأجزاء الشمالية منها ، وضمنها في عدة مؤلفات

منها « الحجاز الشمالي - The Northern Hegaz » ، و« نجد الشمالي - Northern Negd » ، و« الصحراء العربية - Arabia Deserta » ثم جاء العالمان الفرنسيان «جوسين - A. J. Jaussen» و«سافيناك - R. Savignac» اللذان قاما بثلاث حملات استكشافية في الأعوام ١٩٠٧ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ للمنطقة الشمالية الغربية ، وتفحصا الآثار والنقوش في كل من تبوك ومذائن صالح والعلا وتيماء . وقد اُتسم عملهما بالدقة البالغة حتى أن تقريرهما الواسع المعروف بـ «Mission Archeologique en Arabie» يعتبر حجر الزاوية لأية أبحاث أو دراسات مستقبلية تتعلق بماضي المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية . وفي أوائل العشرينات راح الرحالة الانجليزي «جون فلبى - J. B. Philby» يجوب أرجاء المملكة في رحلات متأنية سجل خلالها مشاهداته في مؤلفات كثيرة منها

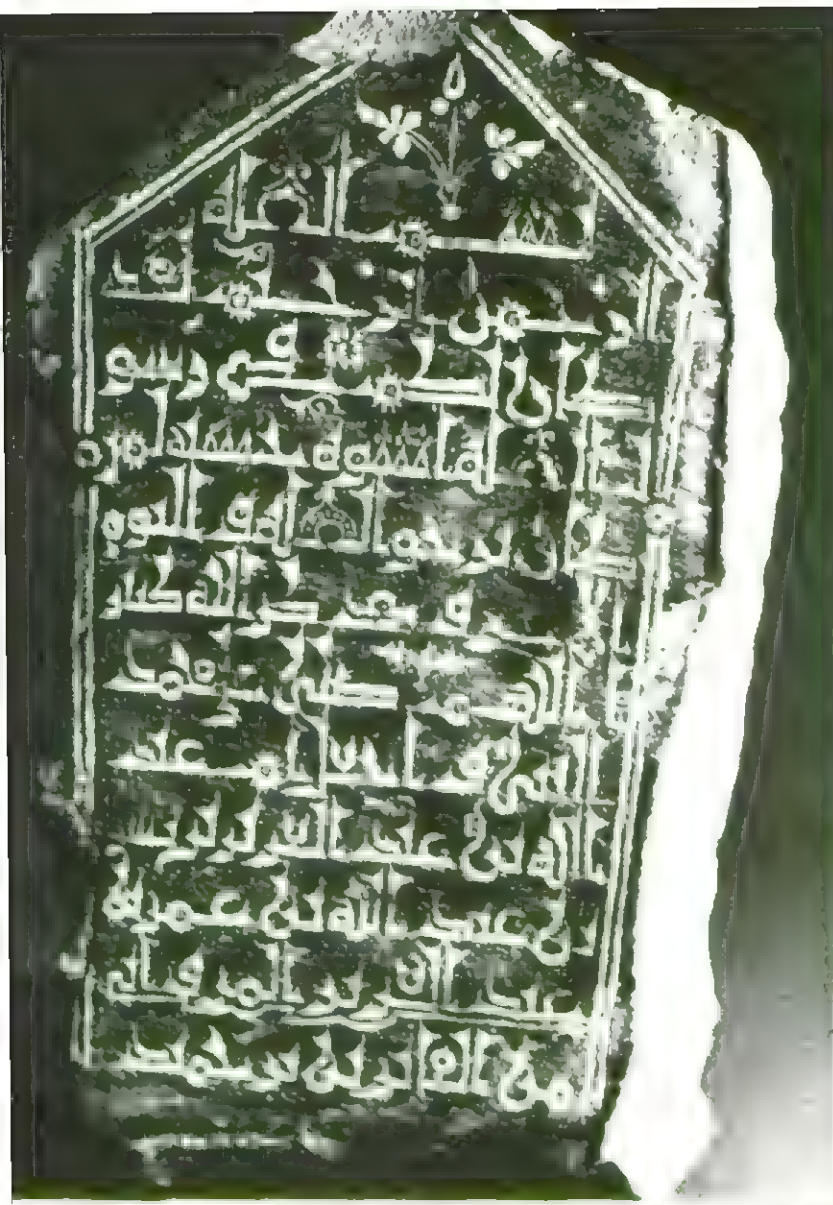
الصلوات بين الحضارات التي تعاقبت على أرض الجزيرة وبين الحضارات التي قامت في بلاد ما بين النهرين واللال الخصب ووادي النيل . ومن بين المستكشفين الذين وفدوا الى الجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر ، «تشارلز دوتي - Charles M. Doughty» و«تشارلز هوبر - Charles Huber» و«جوليوس يوتنج - Julius Euting» وقد جابوا شمال غرب الجزيرة العربية حتى بلغوا مدينة حائل . وقد سجل «دوتي» ما شاهده في مؤلف قيم أسماه « Travels in Arabia Deserta » واكتشف دوتي عام ١٨٧٦م عددا من المقابر البيزنطية المحفورة في مذائن صالح ورسمها ونقل نقوشها . وعثر هوبر في تيماء على الحجر المشهور المحفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس ويعرف ذلك الحجر بمسلة تيماء ، وقد سجل على جانب منها بالخط الآرامي أن كاهناً مصرياً وصل الى تيماء ونشر فيها بعض معتقداته الدينية ، ونقش على الجانب الآخر من المسلة صورة لمعبود بابلي . ويرجع تاريخ هذه المسلة الى ما بين القرنين السادس والخامس ق. م. وفي المتحف الأثري بكلية الآداب في جامعة الرياض نسخة جسيمة لهذه المسلة . كما عثر هوبر على وثائق آرامية قديمة تدل على قيام مستعمرة آرامية تجارية في تيماء حوالي القرن الخامس ق. م. واكتشف يوتنج في العلا خمسا وعشرين قطعة من نقوش معينة



غيرها . ونأمل أن تغدو المنطقة الشرقية نموذجا يحتذى لمسح المناطق الأخرى . هذا وسيتتم تنفيذ مشروع المسح الأثري الشامل بإشراف تام من قبل ادارة الآثار ، وهذا لا يمنع تعاوننا مع خبراء الآثار العالمين والهيئات المختصة في هذا المجال كاليونيسكو وغيرها .

لما كانت المملكة مهد حضارات عريقة فانها تحتوي على خلفية أثرية ذات أهمية عظيمة للباحثين والمؤرخين للعصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ . ولهذا فقد اجتذبت أنظار العديدين من المهتمين في الكشف عن تراثها الحضاري وفك الغموض الذي يكتنف

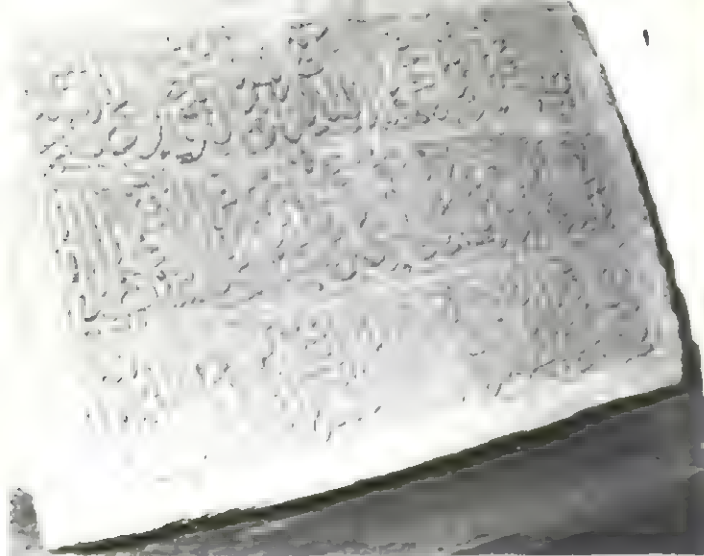




واحة يبرين عثرت البعثة على مضارب صوانية وأدوات حجرية سوداء ذات أطراف حادة تعود الى دور الميتروليتيك ، كما عثرت على سهام وشفرات صغيرة مشرشرة الجوانب رقيقة متعددة الألوان في موقع «الدوسرية» ترجع الى العصر الذهبي من العصر الحجري المتأخر. وفي جزيرة تاروت أثبتت البعثة أنها تحتوي على أقدم حضارة منذ دور النيوليتيك أي قبل ٣٠٠٠ سنة ق.م.، وإن قلعة تاروت تشمل على ثلاث طبقات معمارية تدل على طبقات حضارية مختلفة. وفي «واحة يبرين» وجدت قبور كثيرة يتألف الواحد منها من حجرة مربعة ، وعثر في هذه القبور على رؤوس لدبابيس من البرونز وحرية تعود الى عصر البرونز المتأخر وبداية الدور الحديدي الأول سنة ١٢٠٠ ق.م.

الأماكن الأثرية في كل من حائل وفيد وسميرة والسبعان والمأوية ، وسجلت ما عليها من كتابات قديمة ظهرت في كتاب قيم مدعم بالصور الفوتوغرافية اسمه «سجلات قديمة من شمال الجزيرة العربية - Ancient Records from North Arabia» أما البعثة الدانيماركية برئاسة «جيوفري يبي» فقد باشرت عمليات المسح الأثري في المنطقة الشرقية عام ١٩٦٧ . واكتشفت أكثر من عشرين موقعا أثريا تحتوي على أدوات حجرية دلت على وجود حضارات متعددة نشأت في تلك المنطقة . ففي «الحنا» على مقربة من مدينة «ثاج» الأثرية عثرت البعثة على فأسين بدويتين من الصوان يعود تاريخهما الى عصر الاشوليان ، وهما من أقدم ما عثر عليه في الجزيرة حتى الآن . وفي «جبل المخروق» في الجنوب الغربي من

«قلب الجزيرة العربية - Heart of Arabia» وبنات شيبا - Sheba's Daughters ، والنجد العربية - Arabian Highland ، وأرض مدين - The Land of Midian . وبعد أن أنشئت إدارة الآثار قامت بالتعاون مع البعثات الأثرية الأمريكية والدانيماركية والانجليزية باجراء مسح أثري لبعض المناطق . فأتجهت البعثة الأمريكية عام ١٩٦٢م برئاسة الدكتور «وليام ريد» - W.L. Reed وزميله الدكتور «فريد وينت» - F. V. Winnett الى المنطقة الشمالية وقد رافقهما «الدكتور فيدال» - F. S. Vidal من أرامكو ، وقامت البعثة بتغطية مساحة واسعة شملت طريف وسكاكا والحويف ومدائن صالح وتيماء وتبوك . وفي عام ١٩٦٧ قامت البعثة ذاتها باجراء أبحاث ودراسات ومسح أثري في منطقة حائل وما حولها فشملت



الكلداني الى منطقة شمال غرب الجزيرة ، وأخضع واحة تيماء التي كانت تسيطر على طريق القوافل بين الشمال والجنوب . وطاب للملك المذكور المقام بها فشيّد لنفسه قصراً شبيهاً بقصره في بابل كما بنى بها المعابد المختلفة . وامتدت أعمال البعثة فشملت « مدائن صالح » التي تفوق مدينة « البتراء » من حيث الاتساع والقضامة في نحت الصخور والفن المعماري وتعتبر من المعالم السياحية البارزة في المملكة . ومن المواقع التي زارتها البعثة « الرواق » التي تبعد نحو ١٣٠ كيلومتراً الى الشمال من مدينة تبوك ، وفيها معبد نبطي على الطراز المعماري الكلاسيكي . وفي « وادي شقري » عثرت البعثة على مجموعة من المباني الحجرية وبعض القطع الفخارية التي يعود تاريخها الى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد . وفي « القرية » ،

بالكربون ١٤ ، الى ما بين ٦٠ ق.م . و ١٢٤ بعد الميلاد . هذا وقام الباحث جيمس ماندفيل - James P. Mondaville من أرامكو عام ١٩٦٢ بزيارة « تاج » الأثرية وقدم عنها دراسة تحليلية اتسمت بالعمق والدقة تحت اسم : « A Pre-Islamic Site in Northeastern Arabia » أما البعثة الأثرية البريطانية برئاسة « بيتر بار » من معهد الآثار بجامعة لندن فقد أجرت عام ١٩٦٨ مسحاً أثرياً للمنطقة الشمالية الغربية ، وعثرت على بعض المخلفات الأثرية والنقوش التي أثبتت اتصال شمال غرب الجزيرة بحضارات فلسطين وسوريا وما بين النهرين . ففي تيماء عثرت البعثة على نقوش وكتابات تشير الى اهتمام ملوك بابل ببلاد العرب . ففي عام ٥٥٠ ق.م . جاء « نابونيد » ملك بابل

ومن المكتشفات المهمة في المنطقة الشرقية « قاعة الضريح في جاوان » على مقربة من مدينة القطيف . وتضم قاعة الضريح في جاوان أربعة توابيت مصنوعة من خشب النخيل من بينها تابوت لفتاة تبلغ من العمر ست سنوات تقريباً ، وقد دفن أصحاب التوابيت مع امتعتهم ومن بينها حلقات ذهبية لتزيين الشعر ، وسيفان من الحديد ، وتمثالان أحدهما لامرأة بلباسها الكامل مدهون باللون الأحمر ومصنوع من الجبس ويشبه الأنواع التي وجدت في فلسطين ومصر والثاني مصنوع من المرمر ومدهون باللون الأزرق ولكنه مهشم وهو من النوع المعروف بـ « فينوس » إلهة الحب عند الاغريق ، وطاس و امرأة من البرونز ، وتمثال صغير من العاج وبعض الأدوات الأخرى . ويعود تاريخ ضريح جاوان ، بعد ان اجري عليه فحص

التي يوجد فيها قلعة وسور وسدود قديمة ، عثرت البعثة على قطع من الفخار المتعدد الألوان والزخارف ، ترجع الى العصر البرونزي المتأخر . وفي « البدع » التي تقع على بعد ٢٨٠ كيلومترا من تبوك توجد مدائن نبطية ورومانية ، وتعتبر أيضا من المواقع الاسلامية المهمة . وعثرت البعثة في « شروان » على كتابات ثمودية ومعينية ونبطية قامت بتسجيلها ودراستها . وفي « منار بني عطية » على بعد ٨ كيلومترات شمال تيماء عثرت البعثة على كسّر فخارية وكتابات ثمودية يرجع تاريخها الى ٤٠٠ سنة ق.م . وفي « نفع بني مر » في منتصف الطريق بين تبوك والبدع عثرت البعثة على مبان دائرية الشكل ، يرجح أنها مقابر تعود الى الدور الروماني . وفي « مقنا » على ساحل البحر الأحمر قلعة عثر فيها على فخار متنوع الأشكال منه النبطي والروماني والاسلامي . هذا وقد قامت في عام ١٩٦٨ بعثة أمريكية تابعة لمعهد « سميثسونيان » بواشنطن برئاسة الدكتور « جيمس فان بيك » وزوجته بالمسح الأثري للمنطقة الجنوبية ووادي نجران . ومن بين المواقع الأثرية التي شملها المسح الأثري « جبل حمومة » ويقع على مسافة ١٥ كيلومترا جنوب مدينة خميس مشيط ، وعثر فيه على بقايا جدران ورسوم آدمية ونقوش حجرية وقطع من الفخار . أما في نجران فكان أبرز ما مسحتة البعثة « مدينة الأخدود » الأثرية بمبانيها وأسوارها ورسومها .

كما أن الأستاذة « روث استهيل » قامت بدراسة الكتابات في مدائن صالح والعذيب وتيماء ومعبد الروافة . ومن أهم الأبحاث الميدانية الحديثة في مجال الكشف الأثري في المملكة ما قام به الدكتور عبد الله حسن مصري ، مدير إدارة الآثار . فقد قام عام ١٩٧٢ باعداد رسالة الدكتوراة عندما كان طالبا في جامعة « شيكاغو » الأمريكية ، اذ تناول بالبحث آثار ما قبل التاريخ في المنطقة الشرقية وخاصة الساحل الشمالية الشرقية المتاخمة للخليج العربي . وتتضمن الرسالة التي ستصدر قريبا عددا كبيرا من الخرائط الجغرافية التوضيحية واللوحات الفوتوغرافية والرسوم البيانية . وكان من أبرز نتائج ذلك البحث الميداني هو اكتشاف « عصر العبيد » في هذه المنطقة ، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على اتصال هذه المنطقة بالحضارة السومرية في ما بين النهرين . وتعتبر الحضارة السومرية بمقاييس التطور البشري أرقى الحضارات المعروفة . وعصر العبيد يرجع الى نحو ستة آلاف سنة قبل الميلاد ، وسمي بذلك نسبة الى الموقع الذي اكتشفت فيه بقايا ذلك العصر من قطع فخارية ذات مميزات خاصة وهو تل العبيد الذي يقع جنوب غرب مدينة الناصرية الحالية بالعراق . وقد كان لاكتشاف البقايا الفخارية في أماكن كثيرة على ساحل الخليج العربي

والشبيهة بتلك المعروفة عن عصر العبيد ، الأثر الكبير في تغيير مفاهيمنا عن تاريخ الجزيرة العربية ، اذ بات من المؤكد أن شرق الجزيرة قد لعب دورا حيويا في تطورات ما قبل التاريخ بمنطقة الشرق الأوسط . وأثبت البحث أن الجزيرة لم تكن بمنأى عن الانطلاقات الحضارية في الشرق القديم كما يزعم بعض المؤرخين والباحثين . ويضيف الدكتور عبد الله مصري قائلا : لا شك أن شرق الجزيرة العربية ساهم بدور فعال في نمو تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الانسان ، ألا وهي فترة السومريين ، وشارك في أوجه النشاط العمراني والفني والفكري والثقافي والاجتماعي . ونحن لا نزال في بداية الطريق للاحاطة بأبعاد هذا الاكتشاف ، ويحتاج الأمر الى اجراء حفريات للوقوف على مقومات ذلك العصر .

ومن بين الأبحاث الميدانية الجادة ما قامت به جمعية الآثار في جامعة الرياض بالتعاون مع ادارة الآثار ، حيث تم الكشف عن « قرية الفاو » الأثرية الواقعة على مشارف الربع الخالي ، وتعتبر من أهم مناطق الحضارة في وسط الجزيرة العربية . وقد عثرت بعثة جامعة الرياض في قرية الفاو على قطع فخارية وخزفية وأوان من الحجر الشمعي (المرمر) ، وقطع حجرية تحتوي على نصوص وكتابات بالخط المسند ، بالإضافة الى أشياء دقيقة كالخرز والأساور الزجاجية وأدوات الحياكة وبعض المسكوكات



شاهد قبر اكتشف في ثاج يمود الى القرن الثالث ق.م. عليه كتابة اغريقية .



أحد القصور الأثرية في مدينة الدرعية التي ستمتد إليها يد التطوير .



جرة من الفخار المزجج ، فيروزية اللون ، وجدت في المنطقة الشرقية ، ويعود تاريخها الى القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي .

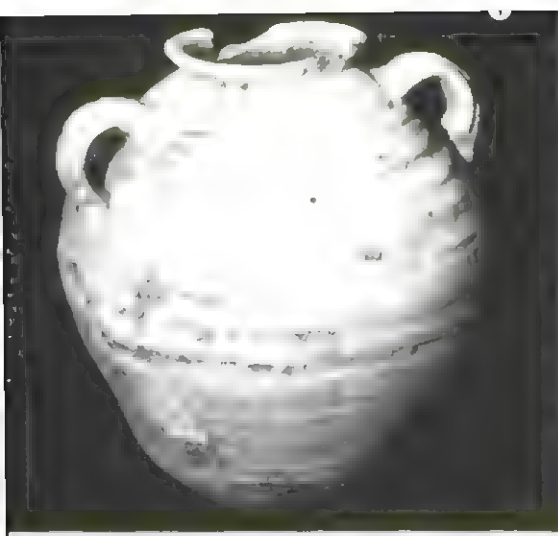
درهم فضي متآكل من العصر الأموي عثر عليه أيضا في المتجارة بجزان كتب على وجهه وفي وسطه : ضرب هذا الدرهم بالري سنة تسعين . لا اله الا الله وحده لا شريك له . وكتب على ظهره : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .



كتابات لحياينة منقوشة على الحجرين الأول والثاني من اليمين . أما التمثال المتهشم أطرافه فقد عثر عليه في أنقاض « الخريبة » على مقربة من مدينة العلا .



رئيس القسم الفني الأستاذ ياسر أحمد طباع ، يعمل مع الباحث الأثري في الكشف عن معالم مدينة اليمامة التاريخية .



ولا شك في أن هذا المشروع الحيوي سيعث الحياة في مدينة الدرعية ويعمل على انعاشها .

أحياء وترميم درب زبيدة

يمثل درب زبيدة الممتد من الكوفة الى مكة المكرمة طرازاً فريداً من نوعه من الناحية الأثرية والمعمارية علاوة على قيمته التاريخية . وقد وضعت ادارة الآثار ضمن خطتها للسنوات القادمة مشروع ترميم واحياء درب زبيدة . وتوجد على طول هذا الدرب الذي يبلغ مجموع أطواله ٢٠٠٠ كيلومتر حوالي ثلاثين بركة . ويتألف مشروع احياء درب زبيدة من شقين أحدهما أثري ، والآخر ترميم معماري وإنشائي . وسوف يبدأ العمل في الشقين في آن . ويتناول الشق الأول من المشروع تنظيف البرك من الرمال التي طمرتها ثم يشرع في تنفيذ الشق الثاني بالقيام بأعمال ترميم مباني البرك ذاتها . ولما كانت البرك واقعة على مسافات متباعدة فستقام استراحات مؤقتة لايواء الموظفين والفنيين والعمال القائمين على تنفيذ المشروع .

إنشاء متحف وطني مركزي بالرياض

حفاظاً على ماضي المملكة العربية السعودية لصالح الأجيال الحاضرة والمستقبلية ، وصونا للقيم الإسلامية الرفيعة ، فإن وزارة المعارف بادرت الى وضع مشروع ضخم لإنشاء متحف وطني للمملكة . وعهدت الى « مؤسسة مابكل رايس » الاستشارية بدراسة المشروع وتحديد الخطوات التمهيدية لتنفيذه . وقدمت الهيئة الاستشارية في مطلع هذا العام لوزارة المعارف تقريراً وافياً عن هذا المشروع . وبموجب هذا المشروع سيتم اختيار مساحة كبيرة من الأرض في موقع متوسط من مدينة الرياض تستوعب مجمع مباني المتحف . أما الاطار العام الذي سيغلب على تصميم مجمع المتحف فسيكون مستوحى من فكرة اعتبار البثاق نور الاسلام في الجزيرة العربية المحور الرئيسي الذي ستدور حوله محاولة ترجمة العناصر التاريخية والأثرية التي شهدتها المنطقة قبل وإبان وبعد ذلك الحدث العظيم .

ونشراً للوعي الأثري بين أبناء المملكة في مختلف المناطق ، وإبرازاً لدور كل منها في تاريخ الجزيرة العربية عامة وتاريخ المملكة بصفة خاصة ، وتوضيحاً لطابع كل منطقة ، وتنشيطاً للسياحة فقد تقرر انشاء متاحف

الفضية والنحاسية . ويرجع تاريخ هذه القطع الأثرية والمباني التي تم الكشف عنها الى فترة تمتد من حوالي القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الثاني بعد الميلاد .

تطوير مدينة الدرعية الأثرية

تتمتع مدينة الدرعية (١) ، التي تقع على بعد نحو ١٢ كيلومتراً الى الشمال الغربي من العاصمة الرياض ، بشهرة تاريخية واسعة بوصفها مركز الانطلاقة الحديثة للمملكة العربية السعودية . ففيها من الأطلال ، والآثار ما يقف شاهداً على ما بلغته هذه المدينة التاريخية من رفعة وازدهار . فلا غرو والحالة هذه أن تحظى آثار الدرعية بعناية القائمين على حماية الآثار وصيانتها . وقد توج جلالة الملك فيصل تلك العناية بخطابه الكريم رقم ١٣٢٠٩/ر بتاريخ ٤ جمادي الثانية ١٣٩٣ ، حينما وافق على مشروع ترميم وتطوير مدينة الدرعية الأثرية بما يتلاءم ومكانتها التاريخية . وباشرت لجنة مختصة من الخبراء دراسة المشروع من جميع جوانبه بتوجيهات وكيل وزارة المعارف ونائب رئيس المجلس الأعلى للآثار سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد . ويلقى هذا المشروع الضخم اهتماماً خاصاً من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ، وسعادة الشيخ عبد العزيز الثنيان أمين مدينة الرياض . وبعد اتمام الدراسات المبدئية للمشروع ستباشر ادارة الآثار بتنفيذه على مراحل معينة . ويضم المشروع ترميم القصور الأثرية في « حي الطريف » ثم انشاء مركز ثقافي يراعى في بنائه الطابع المعماري القديم بحيث يتشجم مع مباني الدرعية القديمة . ويشتمل هذا المركز على مبنى خاص بموظفي هيئة الآثار القسامين على العمل في المنطقة في مجالات البحث الأثري والترميم والصيانة الدائمة للآثار، وصالة محاضرات ومكتبة عامة ، وصالة عرض ضوئي، ومتحف محلي . الى جانب ذلك سيقام فندق سياحي ومطعم صغير . ولعل أبرز المراحل في العمل الضخم هو تنفيذ مشروع الصوت والضوء في آثار الدرعية ، ويعتبر هذا أول مشروع من نوعه في المملكة العربية السعودية . وسيتم تحديد مكان خاص يجلس فيه المشاهدون ليستمعوا الى تاريخ المنطقة من خلال عرض في متكامل بالاستعانة بالموسيقى والاضاءة الجمالية المتحركة.

١- جرتان من الفخار غير المزجج خاليتان من الزخرفة الا من حوزوز دائرية الشكل وقد وجدت في منطقة العلا .

مع بعثة إدارة الآثار الى أطلال اليمامة

اليمامة من أقاليم الجزيرة العربية المعروفة قديماً باسم « جؤ » وهي مشهورة بمائها ونخيلها وزروعها ، لذا كانت موئل أقوام كثيرة منذ أقدم الأزمنة ، منها قبيلتا طسم وجديس البائدتان . وعلى أرضها تعاقبت أحداث وأحداث ، نسج الرواة حولها أمع القصص . وإليها تنسب زرقاء اليمامة التي رأت عن بعد بعينها الثابتين جحافل « حسان تبع الحميري » الزاحفة للقضاء على طسم وجديس فأندرت قومها ولكنهم لم يأبها لها ، فنزل بهم الخراب والدمار ، وقبض تبع على « يمامة » وسمل



٢- أربع مزهريات مزججة ذات رقاب ضيقة ومقابض جانبية
عثر عليها في تاروت وتعود الى القرن الخامس قبل الميلاد .

عينها وأمر بصلبها على باب « جو » وإن
تسمى المنطقة باسمها .
وروي على لسان تبع قوله :
وسميت جوا باليمامة بعدما
ترك عيوننا باليمامة هملا
نزعت بها عيني فتاة بصيرة
رغاما ولم أحفل بذلك محفلا
ترك جديسا كالحصيد مطرحا
وسقت نساء القوم سوقا معجلا
أدنت جديسا دين طسم بفعلهما
ولم اك لولا فعلهما ذاك أفعلا
وقلت : خذني يا جديس باختها
وأنت لعمرى كنت للظلم أولا
فلا تدع جو ما بقيت باسمها
ولكنها تدعى اليمامة مقبلا
ولا بزغ نور الاسلام ، أعلنت اليمامة
اسلامها بعد عودة « ثمامة بن اثال » سيد بني
حنيفة من مكة المكرمة مسلما على يدي النبي

صلى الله عليه وسلم . ولما توفي النبي ، صلى
الله عليه وسلم ، انقاد أهل اليمامة لمسيلمة
الكذاب وارتدوا عن الاسلام ، فأنفذ اليهم
الخليفة أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ،
خالد بن الوليد ، سيف الله المسلول ، فأعادهم
الى حظيرة الاسلام .

هذه المنطقة العريقة هي محط أنظار كثير
من الباحثين الأثرين ، ولذا فانها تحظى من
ادارة الآثار بعناية كبيرة . وخلال وجود
مندوب القافلة في الرياض قامت ادارة الآثار
بايفاد بعثة أثرية الى اليمامة قوامها رئيس القسم
الفني ، والباحث الأثري وأمين المتحف
والمساح ، والمصور ، وتم تجهيزها بالمعدات
والأدوات الحديثة . ورافقنا البعثة الى موقع
أثري يقال له « البنة » على بعد نحو عشرين
كيلومترا الى الجنوب الشرقي من مدينة الخرج
الجميلة . والموقع عبارة عن تل يشرف على
بساتين النخيل ، وتكثر في جنباته القطع
الفخارية ، وتبدو فيه معالم الأبنية القديمة
واضحة . وهنا أخذت البعثة تدرع المكان
مشيا على الأقدام بغية التعرف عليه وتقرير
حدوده . وقد شرح لنا الأستاذ عوض عمر
شملان ، أمين المتحف ، الخطوات الأساسية
المتبعة في مثل هذا العمل بقوله : قبل اجراء أية
عملية أثرية نعمل أولا الى التعرف على الموقع
وتحديد أبعاده ، وذلك من خلال ما نعر عليه
من بقايا المباني أو المواد الأثرية على سطح
الأرض كالفخار وما شابه ذلك . وبعدها يبدأ
المساح بأعداد مخطط للموقع باستخدام
« التودوليت » وعمل مسح كنتوري عليه يبين
نقاط الارتفاع والانخفاض . ثم يقوم المصور
بالتقاط صور لأماكن محددة ذات أهمية
خاصة في التنقيب الأثري . ويعقب ذلك
اجراء عملية جس للموقع عن طريق اجراء
حفر بسيط في أماكن متفرقة للاستدلال عليه
تمهيدا لعمليات حفر واسعة منظمة فيما بعد .
هذا ويقوم أفراد البعثة بجمع بعض القطع
الفخارية وغيرها ووضعها في أكياس خاصة
لدراستها وتحليلها في المختبر .

وبعد أن فرغت البعثة من عملها التنقيبي
الأولي وحزمت معداتها وأدواتها ونحراطها
استعدادا للعودة قال الأستاذ عوض شملان :
يستدل من ظاهري الموقع على أنه اسلامي من
واقع بقايا المسجد والفخار الذي يحمل الطابع
الاسلامي .

تدريب الموظفين في حقول الآثار

لما كان العمل بحقل الآثار ذا طبيعة
خاصة تحتاج الى متخصصين على درجة عالية
من الكفاءة العلمية والفنية ، لذا وضعت ادارة
الآثار في اعتبارها للخطوة الحتمية القادمة برنامجا
لتدريب العاملين في الأقسام المختلفة على
أحدث الأساليب العلمية في مجالات ادارة
المتاحف ، والتنقيب والبحث الأثري
والترميم والصيانة الأثرية ، والتحليل الأثري
العلمي ، وعلم المسكوكات واللغات القديمة .
وستباشر الادارة مع مطلع العام المالي ٩٥/٩٤
ابتعاث أول دفعة تتألف من خمسة عشر طالبا
جامعيا من خريجي أقسام التاريخ والجغرافيا
والعلوم . ومن ثم سيجري ابتعاث أعداد
أخرى حسب جدول زمني ثابت يتم اعداده
على ضوء النتائج الأولية للدفعة الأولى .

تطلعات نحو المستقبل

ان المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتق
ادارة الآثار وما تتطلبه هذه المسؤولية من قدرات
علمية وفنية ، تملئ عليها التوسع في جهازها
الفني والاداري لتنهض بأعبائها على خير وجه .
وأول ما تفكر فيه الادارة هو استحداث أقسام
جديدة كادارة المتاحف ، واللغات القديمة ،
والمسكوكات ، والمخطوطات ، ثم تدعيمها
بالقوى البشرية المدربة . ولما كان للآثار دور
فعال في تنمية الثقافة الوطنية وتوسعة آفاق الفهم
التاريخي والانساني ، فان الادارة تولي الاعلام
الأثري أهمية كبيرة ، وتعتبر التغطية الاعلامية
عن الآثار من أهدافها الرئيسية . وفي هذا
المجال يتجه التخطيط نحو طبع واصدار
الكتيبات المصورة والملصقات والبطاقات
التوضيحية عن أبرز مناطق ومعالم الآثار في
المملكة . وتوحي الادارة في المستقبل القريب
اصدار مجلة دورية منتظمة تهتم بتغطية البحوث
العلمية في مجال الآثار . وينظر الدكتور
عبد الله حسن مصري بتفاؤل كبير نحو
مستقبل مشرق لادارة الآثار اذ يقول : ان
اهتمام الدولة ، وعلى رأسها جلالة الفيصل ،
بجهاز الآثار قمين بأن يبلغ بالادارة الى
مستوى رفيع ينسجم مع المكانة المرموقة التي
تتمتع بها المملكة العربية السعودية بين دول
العالم

سليمان بن عبدالعزيز

هيئة التحرير

الفراغ والتفكير الإنساني

المفهوم الذي نقصده للفراغ في هذا الصدد هو الفراغ الزمني او بمعنى آخر اوقات الفراغ . ولعل من الأهمية بمكان الوقوف في بدء هذا الحديث على كيفية ظهور الفراغ في الحياة الاجتماعية . او بمعنى ادق معرفة تاريخ الفراغ لأن معرفة تاريخ أي موضوع تساعد في ايضاحه وبالتالي تساعد على فهمه .

لو تأملنا حياة الانسان قبل الاستقرار نلاحظ ان حياته كانت قائمة على الترحال والانتقال من مكان الى مكان لأن طبيعة هذه الحياة تقوم وتعتمد على الرعي الذي يتطلب وجود العشب والماء . ولهذا كلما قل او انعدم العشب ونضب الماء رحل الانسان الى مكان آخر تتوفر فيه هذه المتطلبات . على انه تجدر الاشارة الى ان الانسان الراعي كان أسلوب حياته اليومية الطواف مع مواشيه حول العشب والماء ، وإذا كل من التجوال فانه يسريح قليلاً ليستأنف مسيرته هذه في الانتقال ، وإذا ما حل الليل قضى ليله في نوم عميق ليرتاح من عناء تعب النهار ، وهكذا استمرت حياته . . ثم كان بعد ذلك ان طرأ تغير اجتماعي على حياة الانسان وضع حداً لذلك الرحيل المستمر والانتقال المتوالي ، وذلك عندما استأنس الانسان الزراعة التي تعتبر اول اختراع جوهري في تاريخ الانسانية .

لقد وضعت الزراعة حداً لرحيل الانسان وانتقاله المستمر عندما استقر في وادي النيل بمصر القديمة . وقد اتاح له ذلك الاستقرار الفرصة لتنظيم حياته الاجتماعية فبدأ يعمل في اوقات أخرى اثناء النهار ، ومن هنا بدأ الانسان يحس بشيء جديد في حياته . فقد وجد لديه الفراغ بعض الوقت للتفكير في أموره وفيما يدور حوله فاستغل هذا التفكير وأنشأ الحضارات الأولى في الوديان الخصبة التي انبعث منها بعض مظاهر التقدم الانساني . ونتيجة لذلك لم يقتصر سكان وادي النيل القدامى على ممارسة الزراعة بل زاولوا التجارة وفنون الصناعة ، كما ساعدتهم ذلك الفراغ على ايجاد بعض الأفكار الاقتصادية والأخلاقية والسياسية . وباختصار يمكن القول ان بعض علماء الاجتماع يرون ان اول صور التفكير الاجتماعي قد ظهرت في مصر القديمة وما ذلك الا بفضل وجود الفراغ الذي استغله الانسان في التفكير فأتى في هذا الصدد بما لم يأت به الأوائل . وهكذا نلاحظ بوضوح ارتباط مظاهر التفكير الانساني بالفراغ .

الفراغ كأداة بناء ومعول هدم في المجتمع

اعتاد بعض الدارسين ان يربطوا بين الفراغ والمشكلات الاجتماعية وكأنهم بذلك - يذهبون الى ان الفراغ اثره السيء فقط في الحياة الاجتماعية فما مدى صحة ذلك ؟

الواقع انه يمكن القول ان الفراغ سلاح ذو حدين فبقدر ما يحسن الانسان استغلال الفراغ بقدر ما تكون نتائجه طيبة وفعالة تساهم في البناء الاجتماعي وفي اسعاد الأفراد وبالتالي النهوض بالمجتمع . وأوضح مثال على ذلك ما ظهر في وادي النيل قديماً نتيجة لحسن استغلال الفراغ ، فقد استطاع قدماء المصريين ان يقدموا للانسانية بعض النظم الحكومية ،

كما ان قدماء المصريين اول من عرف نظام المدينة بوصفها وحدة سياسية فقد عرفوها قبل اليونان الذين اتجه تفكيرهم بصورة جلية الى نظام الدويلات .

بالاضافة الى ذلك نجد ان كثيراً من الاختراعات الحديثة كان نتيجة التفكير في اوقات فراغ احسن اصحابها استغلالها فكانت خيراً على المجتمعات الانسانية اذ استفادت منها فائدة كبيرة انعكست على كثير من جوانب الثقافة المادية واللامادية .

هذا من الناحية الايجابية اما من الناحية السلبية للفراغ في المجتمع فان كثيراً من المشكلات الاجتماعية وبصفة اخص مشكلات الجريمة والانحراف تؤثر في الحياة الاجتماعية وتجعل الشعور الفردي والشعور الجمعي يتأذى منها . ولما كان لهذا الجانب اثره في المجتمع فقد أولى علماء الاجتماع ومنهم علماء علم الاجتماع الجنائي خاصة اهمية كبيرة لهذا الموضوع الأمر الذي يدعونا للوقوف وقفة طويلة في هذا الصدد محاولين لقاء الضوء على اوقات الفراغ والانحراف .

أوقات الفراغ والانحراف

يتميز الأحداث الذين يقربون من الحد الأقصى لسن الحدث وهي التي تحدد عادة بثمانية عشر عاماً في أغلب الدول ، بطاقة حيوية كبيرة ، وتتطلب طبيعة الأمر ان يستفيد الأحداث من هذه الطاقة باستغلالها في القيام بعمل شيء معين ، فاذا لم تحصل المبادرة بترخيص هذه الطاقة وتوجيهها وجهة سليمة فائنا يجب ان نتوقع ان يكون هذا الشيء المعين هو الانحراف .

فالطفولة وخاصة الطفولة المتأخرة عهد اللعب والشباب عهد المخاطرة والأحلام فاذا لم يجد الطفل المجال الصالح للعب فيه واذا لم يجد الوسائل البريئة التي يستغل فراغه فيها واذا قلت النوادي والملاعب ونشرت او انعدمت المتنزهات انصرف الأطفال في هذه السن الحرجة الى الأزقة والشوارع والأماكن غير الصالحة لاستغلال الفراغ .

وأصل الداء في الأحداث هو فقدان ما يرضي احتياجاتهم الروحية ورغباتهم الأدبية وغير ذلك من أمور ، ذلك ان اسباب التسلية والترفيه العقلية والنفسية ضرورية لهم كحاجتهم الجسمية للطعام والشراب ، فاذا لم يجدوا الأماكن الصالحة لاستغلال نشاطهم وحيويتهم فانهم لا بد سيعملون على انفاقها في أوجه ضارة الأمر الذي يؤدي بهم الى الانحراف .

والواقع ان اهمية قضاء اوقات الفراغ تبدو فيما اظهرته الدراسات الاحصائية :

ان معظم جرائم الأحداث تحدث وتزيد في المناطق التي لا توجد فيها أماكن مخصصة للهو البريء كالملاعب والحدائق والمتنزهات والنوادي او التي تنتشر بها أماكن تشجع على السهر واقتباس العادات السيئة .

ويتضح مما تقدم ان اوقات الفراغ تربة صالحة لاستنبات الجريمة اذا ما أسيء استغلالها ويرجع هذا الى انها تهيء الفرصة للاختلاط والرفقة من ناحية ، وللتعرض لاكتساب العادات المرفوضة والسيئة التي يشغل بها البعض اوقات فراغهم من ناحية أخرى .

وقد أشار « جلوك » الى انه خرج من دراسته لبعض الأحداث الجانحين على أساس كيفية شغلهم اوقات فراغهم بالنسبة الآتية :

١ % كانوا يشغلون اوقات فراغهم بنشاط منتج .

٦ % كانوا يشغلون اوقات فراغهم بنشاط غير منتج ولكنه غير ضار .

٩٣ % كانوا يشغلون اوقات فراغهم بأنواع من النشاط الضار .

وفي دراسة اجريت في الاسكندرية على ٢٠٠ طفل من الأحداث الذين عرضوا على محكمة أحداث الاسكندرية في عام ١٩٥٧ من مختلف اقسام المدينة لمعرفة كيف يقضي الأحداث اوقات فراغهم اتضح ان :

٥٢ % يقضون اوقات فراغهم في الشارع او الحارة .

٢٩ % يقضون اوقات فراغهم في السينما .

٥ % يقضون اوقات فراغهم في النادي او الساحات الشعبية .

٢,٥ % يقضون اوقات فراغهم في المنزل .

٩ % يقضون اوقات فراغهم على شاطئ البحر .

٢,٥ % يقضون اوقات فراغهم في أماكن أخرى .

وكما هو ملاحظ فان هذه النسب تدل على ان اكثر من نصف الأحداث يقضون اوقات فراغهم في الشوارع وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان سوء استغلال اوقات الفراغ له تأثير في مشكلة انحراف الأحداث .

وقد نجم عن ذلك ان اهتمت المؤتمرات التي عقدت لمعالجة موضوع انحراف الأحداث بمسألة اوقات الفراغ . وتجدر الاشارة الى ان من بين توصيات هذه المؤتمرات التي انعقدت لمعالجة ومناقشة هذه المشكلة العربية توصية بالاهتمام بالأندية والساحات الشعبية والمتنزهات وتوزيعها على الأحياء المختلفة .

الاهتمام بأوقات الفراغ في المملكة العربية السعودية

نتيجة للتطور الاجتماعي الذي طرأ على المملكة العربية السعودية لم يعد مجال الترفيه مقتصرًا على الأسرة نتيجة للتغير الاجتماعي الذي طرأ على الأسرة ، بل ان هذا المجال الاسري اصبح محدوداً ذلك لأن الترفيه البريء لم يعد ترفاً وانما أصبح ضرورة اجتماعية الأمر الذي اوضح مشكلة الفراغ - وخاصة بالنسبة للشباب - بدرجة جعلت اهتمام المسؤولين يزداد بمشكلة اوقات الفراغ والترفيه ومن هنا اخذت وزارتان على عاتقهما الاهتمام بهذا الموضوع .

لقد اهتمت وزارة المعارف بذلك وأنشأت ادارة لرعاية الشباب ، تهدف الى رعاية الشباب من النواحي الذهنية والاجتماعية والرياضية ، فمن الناحية الذهنية شكلت هذه الوزارة لجنة للتوعية الاسلامية هدفها اعداد جيل مؤمن مدرك لسلوكياته يمكنه بموجب هذا الغذاء الروحي وهذه التوعية الاسلامية الحفاظ على عقيدته من أي زيف او زيف . ومن الناحية الاجتماعية عينت المشرفين والاختصاصيين الاجتماعيين لتوجيه فلذات الاكباد التوجيه السليم ، ومن الناحية الرياضية زودت المدارس بالمشرفين والمدرسين الرياضيين ، وأعدت الملاعب وفرت الأدوات الرياضية . ومن ناحية أخرى فقد اهتمت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بموضوع الفراغ والترفيه فأنشأت أيضاً ادارة لرعاية الشباب ومن أهم اختصاصات هذه الادارة :

١ - وضع سياسة متكاملة ومنسقة لبرامج وخدمات الشباب واستغلال اوقات فراغهم وتوجيههم ورعايتهم .

٢ - توفير الوسائل الكفيلة باناحة وتهئية الوان مختلفة من النشاطات الاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية بالنسبة للشباب .

٣ - العمل على نشر وتشجيع اقامة الأندية والساحات الشعبية ذات البرامج الاجتماعية الهامة .

وعلى أثر انشاء ادارة رعاية الشباب هذه ، بذل الكثير من التسهيلات وظهر العديد من اوجه النشاط بمختلف انواعه لا لتواجه مطالب اوقات الفراغ فحسب ، بل وكما جاء في المذكرة التفسيرية لادارة رعاية الشباب للنهوض بالأندية وتطويرها وجعلها مؤسسات اجتماعية متكاملة يجد فيها الشباب فرصاً طيبة لاشباع هواياتهم وتنمية قدراتهم وتعويدهم على القيادة والتعاون .

وبالفعل كان لانشاء هذه النوادي اثر كبير في مجال الترفيه والقضاء الى حد كبير على مشكلة اوقات الفراغ . ولم يقتصر الاهتمام بالشباب فحسب بل امتد الاهتمام الى الشابات فقد انشئ في الرياض ناد للنساء تحت اسم « نادي فتيات الجزيرة الثقافي » الذي تأسس كما جاء في اللائحة التأسيسية للنادي ليكون ملتقى الفتيات وسيدات المجتمع السعودي ، يشيع بينهن المحبة ويقوي روابط الصداقة والرغبة الصادقة في التعاون لأعمال الخير ، وينمي فيهن الروح الاجتماعية المثلى ، وينشر بينهن الوعي الديني والثقافي ويبث الروح الرياضية الوثابة في نفوسهن ، ويوفر لهن تقضية اوقات الفراغ في هوايات بريرة مشرة . بالاضافة الى ذلك هناك الجمعيات النسائية العديدة في مختلف نواحي المملكة تساهم في هذا الصدد لاستغلال اوقات الفراغ بما يعود على المنتسبات الى هذه الجمعيات بالخير الوفير وخاصة من ناحية محو الأمية وتعلم الخياطة والتدبير المنزلي وما الى ذلك من امور تهم ربة البيت . وكذلك هناك مراكز الخدمة الاجتماعية في المدن ومراكز التنمية الاجتماعية في المناطق الريفية تساهم في موضوع شغل اوقات الفراغ وخاصة المرأة باعتبار انها مجالات لمحور الأمية والتثقيف والاحاطة بكثير من الشؤون المنزلية .

وهكذا نلاحظ انتشار النوادي المختلفة ، ومراكز الخدمة الاجتماعية ومراكز التنمية الاجتماعية لمواجهة مشكلة اوقات الفراغ ، بالاضافة الى تزايد الجهود التي تبذل للاهتمام بوسائل الترفيه المختلفة التي سنشير اليها فيما بعد ، وكل هذه الأمور وما اليها تؤكد النظرة الجادة الى موضوع الفراغ والترفيه خاصة وان النظرة للترفيه لم تعد على انها مضيعة للوقت بقدر ما هي ضرورة تساعد الانسان على العمل والانتاج .

الفراغ والمجال الاجتماعي

من الطبيعي ان يكون للطفل اصدقاء او رفاق في كل مجال او محيط يوجد فيه كأن يكون ذلك في محيط المدرسة حيث يلتقي بزملائه في الدراسة ، او مجال العمل حيث يختلط بمن يعمل معه من الأطفال والبالغين على السواء ، وفي جماعة اللعب حيث يقضي وقت فراغه يلعب ويلهو معهم . وفي كل هذه المجالات يكون الطفل مع أقرانه علاقات اجتماعية ، فإذا كان هؤلاء الأقران اسوياء كانت العلاقات الاجتماعية

سوية حسنة ، والعكس صحيح . فالطفل وخاصة الذي يكون على ابواب المراهقة يحاول دائماً ان يكون مثل أقرانه اي انه لا يريد ان يظهر بمظهر الأقل منهم لذا يحاول جاهداً ان تكون تصرفاته مشابهة لتصرفات زملائه ، فإذا كان هؤلاء يقومون بأفعال منحرفة فإنه لكي لا يظهر بمظهر المتخلف عن ركبهم يحاول المضي معهم في نفس التيار فيتشرب الكثير من عاداتهم واساليب سلوكهم المنحرف الأمر الذي قد يؤدي به أحياناً الى الهاوية . .

والواقع ان تأثير رفاق السوء في السلوك قد ركز عليه علماء الاجتماع الجنائي ، وعلماء الاجرام ، وتعرضوا من ثم لرفاق السوء وخاصة أولئك الذين لديهم اتجاهات وميول مخالفة للقانون والخروج على ما استنه المجتمع . والحقيقة ان الطفل الطيب الذي يخضع او يستسلم لقيادة وتأثير الشخص السيء لا بد وان يكون عنده الاستعداد للانحراف . ذلك الاستعداد الذي يجعله يتأثر بانماط سلوك الرفقاء .

وقد أشار العلامة « سيرل بيرت - Cyril Burt » في كتابه « الجانح الصغير » الى ان هذه الاستعدادات التي تسهل انحراف الطفل تتمثل في ان يكون بيته كثيراً وغير جذاب او كريهاً ، او ان يكون ضعيفاً من الناحية العقلية او الجسمانية ، او ان يكون صغير السن او ضعيف الشخصية او متوكل الصحة . كل هذه الأمور وما اليها تسهل انقياد الطفل لينتهي به الأمر الى الانحراف اسوة برفاق السوء . واذا كنا قد أشرنا الى الاستعدادات الذاتية للحدث والتي تسهم في جعله لقمة سائغة لرفقاء السوء الذين يؤثرون عليه ولا يتوانون في جعله مثلهم ، فلا بد لنا من الإشارة الى ان هناك اموراً خارجية او بيئية تؤدي بالحدث الى مثل هذه الطريق السيئة . فقد لا يجد الطفل في محيطه العائلي الحب والعطف والحنان الاسري مما يضطره للبحث عن مثل هذا العطف لدى زملائه العاديين في محيط المدرسة او العمل او اللعب ، فإذا فشل فانه يبحث عن ذلك في مجال الرفقاء الأشرار . وهنا قد يجد ضالته المنشودة ، أعني انه يجد العطف لدى هؤلاء الرفقاء السيئين اذ انهم سوف يتخذون من هذا العطف قنطرة يسرون عليها لتحقيق مآربهم وغاياتهم ، وكذلك الحال بالنسبة للطفل الفقير المحروم من الطعام والملبس والنقود . مثل هذا الطفل ولا شك قد يجد تعويضاً عن مثل هذا الحرمان عند رفاق السوء فهو يجد في كنفهم الطعام والنقود . ومثل هذا الطفل اذا ما توفر له ما يريد في هذا المحيط فانه يطمئن هؤلاء الرفقاء ومن ثم لا يستطيع مقاومة اغرائهم له فينخرط معهم في طريق الغواية والانحراف .

وقد وجد العلامة « سيرل بيرت » ان هناك ١٨٪ من الحالات التي قام ببحثها كان انحراف اصحابها يتجه لاختلاطهم برفاق السوء . كما ان العلامة « بول تابان - Paul Tappan » قد ذهب الى ان الانحرافات غالباً ما يرتكبها الاطفال عندما يكونون في جماعات من اثنين أو أكثر . وفي السن التي يكون فيها الطفل ميالاً نحو العصابة ، تكون ضغوط الجماعات ومظاهر الولاء دافعاً قوياً على السلوك ، اذ ان رغبات الطفل لتحقيق حب الظهور والمغامرة قد تلقي به في تيار الجماعات التي تفضي به الى الانحراف ، لسبب الرغبة في اتيان ما هو ممنوع ، وكذلك في اظهار السلطة والنفوذ والرغبة في ان يحوز الاعجاب ■ د. حسن خلفجي - جدة

على ضفاف النيل

للشاعر: محمود عارف

فواحة كالعطر في الريحان؟
منه وفيه ذخائر الفنان
بعواطف ، مشوبة النيران
لولا حديث طيب .. في الأذان
ذكرى الرضا .. وبراءة الحرمان
موهوبة بالعقل .. والوجدان
رغم الأنوثة .. مطمح الفتان
بانوثة بعدت عن الشيطان
وفؤادها خلص من الأدوان
شيئا يلامس واقع الخيران
قد ضاع .. مثل التيه في الوديان
فوق الحصى .. بفضيلة الكتمان
في نغرها .. في وجهها الضحيان
قد أعجزت بالوصف كل لسان

ماذا أقول وأنت كالبتان
أو كالريح إذا تبسم للربى
الحسن فيك ، مرقه تهفو له
ما كنت أحسب أن عقلك راجح
أحلاه في ذكر الشباب أعاد لي
هيفاء أخت البدر عاشقة العلاء
حبوبة .. بطموحها قد ساقبت
تعنى بأفكار الرجال ، وتحتمي
في ناظريها يستقر حنانها
لكنني أحسست في وجدانها
ولعل هذا من غموض شعورها
وشعورها متفزز وبه سمت
إشراقه البشرى ملامح بسمة
هي في مجال الحسن آية فتنة

بخواطر بقيت على الأزمان
فاهنت الدنيا مع الأركان
في مصر كانت لمصر الأدهمان
كانوا صانع حضة الطغران
مجدا بلصر ضريبة الزمان
لخسارة فاقبت على الزمان
بعضى « لمصر » بلاغة التبيان
في الشوط قد بلغا مدى مطران
في رفع « مصر » إلى أعز مكان

يا مصر هذا « بتأوور » أثارنا
قد هز أوتار الشعوب بجمهره
وأعاد للتاريخ ذكر حضارة
فاذا « القراعة » الملوك هم الألي
قد حاولوا بوجودهم أن يصنعوا
والنيل في أرض « الكتانة » معلوم
اعجاز « شوقي » لم يزل في شعره
« صبري » و « حافظ » والدان كلاهما
وبقية الأفاضل كانوا سابقا

من طبل نسابة باطمئنان
أشبهها بطليف المحطيان
هو الهداة ، وهدية الضمان
قراح فيها من حنة زهران
بذل حنيم للحسن ، للإنسان
وهديته الحسن ، للأوطان
محمود عارف - جدة

يا نيل يا نبع المحبة طمنا
أضفى نميرك في المذاق حلاوة
كل إلى مجراكَ يسرع طابعا
في شاطئيك مراتع لقلوبنا
وهنا وفي أرض « الكتانة » متحف
الله قد خلق الجمال رصينا

مَعْمَلُ التَّكْرِيرِ فِي رَأْسِ تَنْوَرَة

يُعَدُّ مَعْمَلُ التَّكْرِيرِ فِي رَأْسِ تَنْوَرَة مِنْ أَكْبَرِ مَعَامِلِ تَكْرِيرِ الزَّيْتِ فِي الْعَالَمِ إِذْ يَزِيدُ مَعْدَلُ مَا يَكْرِفُهُ عَلَى نِصْفِ مِليُونِ رِمِيلٍ فِي الْيَوْمِ . وَقَدْ بَدَأَ الْإِنْتِاجُ فِي هَذَا الْمَعْمَلِ سَنَةَ ١٩٦٥ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَالْعَمَلُ مُسْتَمِرٌّ عَلَى تَوْسِيعَةِ مَرافِقِهِ لِإِنْتِاجِ مَوَادِّ جَدِيدَةٍ وَلِتَحْيِينَ الْمُنْتَجَاتِ البَتْرُولِيَّةِ . وَيَقُومُ هَذَا الْمَعْمَلُ فِي مِنْطَقَةِ رَأْسِ تَنْوَرَة الَّتِي هِيَ مَرْكَزُ تَكْرِيرِ الزَّيْتِ وَشِخْنِهِ فِي شَرَكَةِ أَرَامِكُو وَالَّتِي تَبْعُدُ حَوَالِي ٧٠ كِيلُومِتْرًا إِلَى الشِّمَالِ مِنْ مَقَرِّ أَعْمَالِ أَرَامِكُو فِي الظُّهْلَانِ .

يَحِلِي عَلَى شَكْلِ شِبْهِ جَزِيرَةٍ دَاخِلَهُ فِي مِيَاهِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ . وَيُضَمُّ مَعْمَلُ التَّكْرِيرِ عَشْرًا لِمَرافِقِي وَالْوَحْدَاتِ وَالْمُنْشآتِ الَّتِي تَسْتَهْمُ فِي مُعَالَجَةِ الزَّيْتِ الْخَامِ وَتَصْنِيعِ الْعِدِيدِ مِنْ مُنْتَجَاتِهِ الَّتِي يُصَدَّرُ مُعْظَمُهَا لِلْأَسْوَاقِ الْعَالَمِيَّةِ .



التَّكْرِيرُ

الزَّيْتُ الْخَامُ مَزِيجٌ مِنْ مَرَكِبَاتٍ تَدْعَى الْهَيْدْرُوكَرْبُونَاتِ . وَيَتَأَلَّفُ مُعْظَمُ هَذِهِ الْمَرَكِبَاتِ مِنَ الْهَيْدْرُوجِينِ وَالْكَرْبُونِ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَخْلُو عَادَةً مِنْ بَعْضِ الشَّوَابِهِ غَيْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا كَالْكَبْرِيتِ مَثَلًا . وَيَكُونُ الزَّيْتُ الْخَامُ لَدَى خُرُوجِهِ مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ مَزِيجًا مِنْ الْهَيْدْرُوكَرْبُونَاتِ بِتَرَاوُحٍ بَيْنَ أَخْفِ أَنْوَاعِ الْغَازَاتِ وَأَقْلَى أَنْوَاعِ الْأَسْفَلْتِ . وَمَعْمَلُ التَّكْرِيرِ فِي رَأْسِ تَنْوَرَة هُوَ مَعْمَلٌ لِلْمُعَالَجَةِ يَتِمُّ فِيهِ فَرْزُ الزَّيْتِ إِلَى عُنَاصِرٍ نَافِعَةٍ يُمْكِنُ مَزِجُهَا وَمُعَالَجَتُهَا لِتَحْوِيلِهَا إِلَى مُنْتَجَاتٍ صَالِحَةٍ لِلِاسْتِهْلَاكِ . وَيَتَوَلَّى مَعْمَلُ التَّكْرِيرِ فِي رَأْسِ تَنْوَرَة بِالْإِضَافَةِ إِلَى مُعَالَجَةِ الزَّيْتِ الْخَامِ مُعَالَجَةَ الْغَازَاتِ الْقَابِلَةِ

لِلِاسْتِخْلَاصِ الَّتِي يَتِمُّ انْتِاجُهَا مَعَ الزَّيْتِ الْخَامِ . وَتَتِمُّ مُعَالَجَةُ هَذِهِ الْغَازَاتِ لِاسْتِخْلَاصِ وَتَنْقِيَةِ الْبُوتَانِ وَالْبَرْوِيَانِ وَهُمَا عُنْصُرَا غَازِ الْبَتْرُولِ السَّائِلِ . وَتَكُونُ مَرافِقُ الْمُعَالَجَةِ فِي أَيِّ مَعْمَلٍ لِلتَّكْرِيرِ شَدِيدَةً التَّعْقِيدِ وَيَتَطَلَّبُ تَشْغِيلُهَا وَصِيَانَتُهَا مَهَارَةٌ وَتَخَصُّصًا .

التَّقْطِيرُ

التَّقْطِيرُ هُوَ عَمَلِيَّةُ الْفَصْلِ الْأَمَامِيَّةِ الْمَشْتَبَعَةِ فِي جَمِيعِ مَعَامِلِ التَّكْرِيرِ . وَالتَّقْطِيرُ وَسِيلَةٌ فَنِيَّةٌ لِفَصْلِ الْمَوَادِّ الْخَفِيفَةِ اعْتِمَادًا عَلَى الْفَرْقِ فِي دَرَجَاتِ غَلِيَانِهَا . وَهَذِهِ الْفَرْقُ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الْمُمْكِنِ فَصْلَ الْعُنَاصِرِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي يَتَكُونُ مِنْهَا الزَّيْتُ الْخَامُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ بِوَسْطَةِ التَّسْخِينِ ثُمَّ سَحْبِ كُلِّ عُنْصُرٍ عَلَى حِدَةٍ عِنْدَ

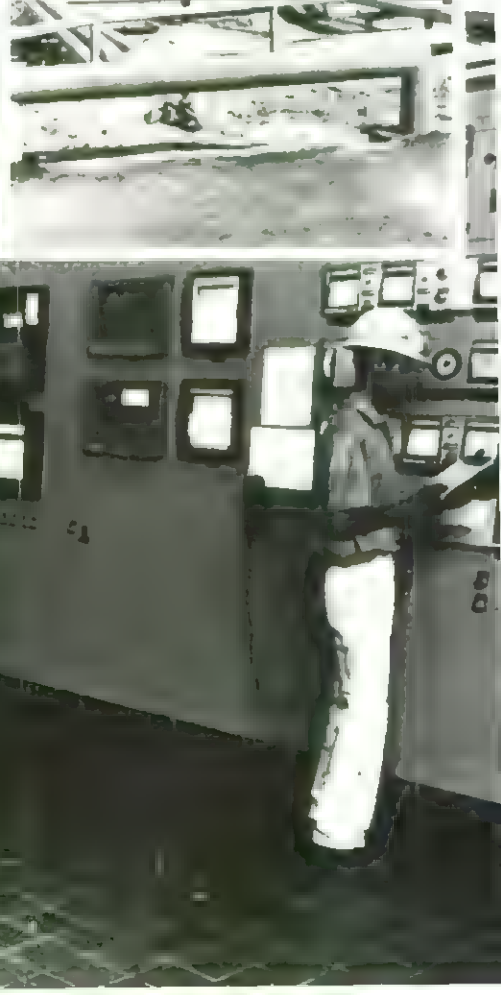
غَلِيَانِهِ وَتَكثِيفِهِ بِالتَّبْرِيدِ لِيَتَحَوَّلَ ثَابِتًا إِلَى سَائِلٍ . وَبِمَا أَنَّ دَرَجَاتِ الْغَلِيَانِ لِبَعْضِ الْعُنَاصِرِ مُتَقَارِبَةٌ فَإِنَّ عَمَلِيَّةَ تَقْطِيرِ الزَّيْتِ الْخَامِ تَتَّبِعُ الْحَصُولَ عَلَى أَصْنَافٍ مُتَفَاوِتَةٍ مِنَ الْمُنْتُوجِ الْوَاحِدِ ، فَالْجُزْءُ الثَّقِيلُ مِنَ الْكَبْرِوسِينِ مَثَلًا يُمْكِنُ قَبُولُهُ عَلَى أَنَّهُ زَيْتُ دِيزِلٍ ، وَهَكَذَا فَإِنَّهُ يُمْكِنُ تَجْزِئَةُ كِيَّةٍ مَحْشُودَةٍ مِنَ الزَّيْتِ الْخَامِ لِلْحَصُولِ عَلَى كِبَيَاتٍ أَكْثَرُ أَوْ أَقَلُّ مِنْ أَجْزَاءٍ مُعَيَّنَةٍ . وَبِمَا أَنَّ بَعْضَ الْعُنَاصِرِ (خَاصَّةً الشَّوَابِهِ) لَهَا دَرَجَاتُ غَلِيَانٍ مُتَقَارِبَةٌ جِدًّا مِنْ دَرَجَاتِ غَلِيَانِ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ فَإِنَّ الْحَاجَةَ تَدْعُو إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ التَّكْرِيرِ الدَّقِيقِ بِطَرِيقٍ غَيْرِ التَّقْطِيرِ . وَتَكُونُ الْمُنْتَجَاتُ النِّهَائِيَّةُ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ مَزِيجًا مِنْ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَلْ ذَلِكَ فَإِنَّ عَمَلِيَّةَ التَّكْرِيرِ عَمَلِيَّةٌ انْتِقَائِيَّةٌ وَبِجِبِّ أَنْ تَكُونُ قَابِلَةً لِلتَّكثِيفِ



موظفون بمصعد يونيفيرون في أحد مرافق معمل التكرير في غرفة المراقبة

لتأمين التوازن اللازم للحصول على المنتجات المطلوبة دون أن ينتج معها فائض من المواد غير المرغوب فيها .

وفي رأس تنورة يفصل الزيت الخام الى أجزاء مدرجة من الأخف الى الأثقل أو المتخلفات . وحيث أن معظم الغاز الطبيعي الموجود في الزيت الخام يكون قد فصل في معامل فرز الغاز من الزيت قبل ادخال الزيت الخام الى معمل التكرير ، فإن الأجزاء الخفيفة الباقية المولدة من النفط والغازات الخفيفة (وهي في الغالب البروبان والبوتان) تتجمع في أعلى البرج ثم تسحب منه لتجرى عليها



منها ابتداء من القاعدة . ويجري السائل المكثف في الصينية الخامسة ثم ينزل الى التي تحتها بينما يتصاعد البخار الى أعلى . واذ يرتفع البخار يصادف سائلا أبرد نازلا الى أسفل يسمى السائل المعاد .

والصواني الأفقية مصممة بشكل يتيح للبخار أن يتصاعد على شكل فقاعات صغيرة متخللا السائل النازل الى أسفل . وهنا يحدث تبادل حراري بين السائل والبخار يؤدي الى تبخر الجزئيات الخفيفة من السائل وتكثف الجزئيات الثقيلة من البخار . وبارتفاع البخار في العمود تقل درجة حرارته ويصبح أخف وزنا لأن أجزائه الثقيلة تتكثف باستمرار بفعل السائل الجاري الى أسفل ، في حين أن حرارة السائل المعاد ترتفع أثناء نزوله من صينية الى أخرى ويصبح أثقل شيئا فشيئا .

وعند نقطة معينة في العمود يقترب السائل من درجة الغليان لجزء مرغوب فيه (الكبروسين مثلا) حيث يمكن سحب قسم منه الى عمود

عملية أخرى لفرز البروبان والبوتان من النفط لاستعمالها في صنع غاز البترول السائل . أما النفط فتستعمل بصورة رئيسية في انتاج البنزين أو تصدر الى الخارج لاستعمالها لقيما بتروكيمائيا . وبعد النفط يسحب الكبروسين فزيوت الديزل الخفيفة والثقيلة . أما زيت الوقود الذي يشكل أكثر من نصف انتاج معمل التكرير فيتكون في معظمه من رواسب تخلف بعد تقطير الأجزاء السائلة الذكر . ويصنع الاسفلت أيضا من متخلفات الزيت الخام بالتقطير الفراغي (الذي سنشرحه فيما بعد) . وجميع الزيت الخام الذي يأتي الى معمل التكرير يمر أولا على إحدى وحدات التقطير حيث يجري في أنابيب داخل فرن ، وبعد أن يتحول جزء منه الى بخار يدخل في عمود التقطير ، وهو وعاء اسطواني قائم يحتوي على عدد من الصواني الأفقية . وأكبر أعمدة تقطير الزيت الخام في معمل رأس تنورة يحتوي على ٣٥ صينية يدخل الزيت الى الصينية الخامسة

جانب من أحد مرافق التكرير في رأس تنورة

من غرفة المراقبة يستطيع الموظفون الفنيون تتبع مراحل سير العمل في مرافق معمل التكرير .



المنتجات الرئيسية المصنوعة في عام ١٩٧٣ « في معمل التكرير برأس تنورة »

المنتجات	براميل	%
زيت الوقود	١٠٠ ٩٤٠ ٢٧١	٤٦,٤٧
البنزين	٤٤ ١٥٣ ٩٠٣	٢٠,٣٣
زيت الديزل	٢٦ ٣٣٥ ٤٧٠	١٢,١٣
وقود النفايات	١٣ ٤١٣ ١٣٢	٦,١٧
غاز البترول السائل	٢٥ ٦٢٧ ٦٠٠	١١,٨٠
الكيروسين	٥ ٢١٦ ٩١٨	٢,٤٠
اسفلت ومنتجات أخرى متنوعة	١ ٥٢٠ ٧٠٩	٠,٧٠
المجموع	٢١٧ ٢٢٨ ٠٠٣	١٠٠

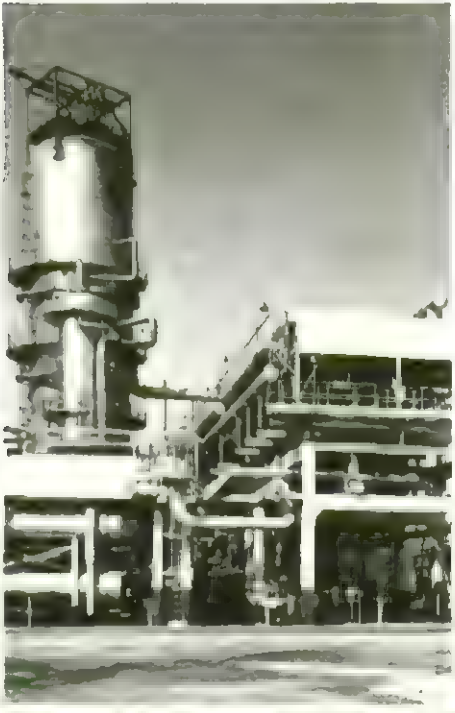
• بما في ذلك الفتا والبنزين الطبيعي والأنواع الأخرى من البنزين

المسال إلى معمل التكرير*

العام	برميل يومياً
١٩٧٣	٦١٠ ٦٥٦
١٩٧٢	٥٦٠ ٩٢٣
١٩٧١	٥٥٨ ٨٥٣
١٩٧٠	٥٨٤ ٩٣٩
١٩٦٩	٤٤٢ ٣٠٩

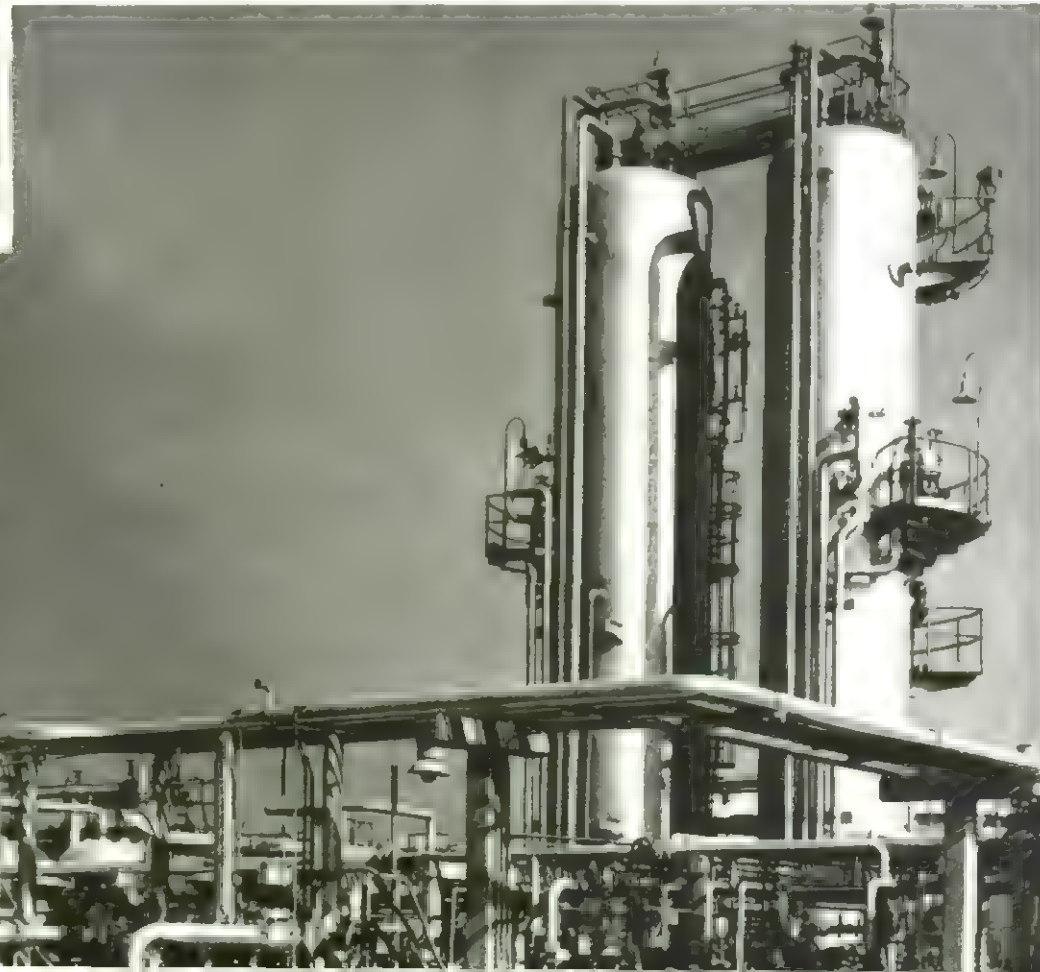
• بما في ذلك الزيت الخام والمنتجات المحقونة المواد استخراجها وسائل الغاز الطبيعي

لازالة الأجزاء الخفيفة وهو في الواقع عمود تجزئة صغير . وهنا تزال من أجزاء الكيروسين والديزل عناصرهما السريعة التبخر . وفي وحدات من وحدات التقطير توجد أيضاً أعمدة تعمل تحت الفراغ حيث يمكن فصل المنتجات الأثقل على درجات حرارة أقل كثيراً مما يلزم تحت ضغط أعلى ، والواقع أن بعض المنتجات الثقيلة لا يمكن تجزئتها الا في الفراغ لأنها تبدأ في التحلل قبل أن تبخر في الضغط الجوي . وتستطيع وحدات تقطير الخام معالجة أكثر من نصف مليون برميل من الزيت يوميا . وهي كغيرها من وحدات معمل التكرير تعمل



وحدة قطف الزيت الخام برأس تنورة .

وحدة التهذيب الحراري من المرافق المهمة التي تسهم في تهذيب المنتجات البترولية وتحسين مواصفاتها .



ليل نهار سبعة أيام في الأسبوع ما لم توقف مؤقتا للصيانة أو الإصلاح .

التهديب

نحتاج محركات السيارات الحديثة ذات الضغط العالي الى بنزين تكون درجة الاكتان فيه عالية (لمنع الدق) . ومن أجل ذلك تفصل النفثا ، وهي المادة الأساسية للبنزين ، بالمزيد من التقطير الى أجزاء خفيفة وعادية وثقيلة . أما الجزء الخفيف فتكون درجة الاكتان فيه عالية الى حد أنه يمكن استعماله بعد تركيزه لازالة العناصر الزائدة السريعة التبخر في مزج البنزين . وأما النفثا العادية والثقيلة فتكون درجة الاكتان فيها منخفضة ولذلك يجب تحسينها باعادة تركيب جزيئاتها بنسب جديدة مختلفة . وهذا هو عمل المهدبات الحرارية والمهدب بالوسيط الكيميائي في رأس تنورة .

وفي المهدبات الحرارية ترفع حرارة النفثا الثقيلة تحت ضغط يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ رطل على البوصة المربعة الى ما فوق ١٠٠٠ درجة فهرنهايت (٣٣٨ درجة مئوية) ، فتتغير النفثا أو «تهدب» أي أن درجة الاكتان فيها ترتفع حوالي ضعف ما هي عليه في النفثا الثقيلة وتستهمل في مزج البنزين العادي . وللحصول على درجة أعلى من الاكتان وحصول أكبر من البنزين يهدب جزء من النفثا أيضا تحت الضغط ، كما تعرض النفثا لوسيط كيميائي بوجود غاز مشبع بالهيدروجين . والوسيط الكيميائي مادة تزيد من سرعة التفاعل الكيميائي ولا تتأثر به .

والبنزين الممتاز ، الذي تبلغ درجة الاكتان فيه ٩٥ ، يصنع بمزج المنتج المهدب بالوسيط الكيميائي مع مواد أساسية أخرى وإضافة رابع أثيل الرصاص اليها .

المعالجة

تحتوي الأجزاء الخفيفة على كيات ضئيلة من الشوائب ، هي عادة مركبات كبريتية ، تعطي المنتجات رائحة كريهة أو تجعلها أكالة . وهذه الشوائب ينبغي إزالتها أو تحويلها الى مركبات أقل ضررا قبل تسويق المنتجات . يقوم معمل ازالة الكبريت في رأس تنورة بازالة جزء من المركبات الكبريتية من زيت الديزل . ويتم ذلك برفع حرارة المنتج تحت الضغط وتعرضه للهيدروجين بوجود وسيط كيميائي ،

فتتحط الكبريت بالهيدروجين مكونا كبريتيد الهيدروجين ، وهو سم خطير يتم التخلص منه بالحرق . ويمكن أيضا استعمال معمل ازالة الكبريت من زيت الديزل لتحلية الكيروسين . وهناك أيضا مرافق للتحلية مهمتها تحويل «المركبتان» ، وهي مركبات كبريتية كريهة الرائحة ، الموجودة في غاز البترول السائل والنفثا ومقطرات الكيروسين ، الى مواد أخف شرا . وهذه العملية تعرف بعملية «تحلية» المنتجات ، وبها يتم تحويل «المركبتان» بالأوكسدة الى ديسلفيدات ليست لها رائحة كريهة .

المزج

معظم منتجات رأس تنورة ، باستثناء غاز البترول السائل والكيروسين والنفثا ، انما يتم تجهيزها عن طريق المزج وإضافة مواد معينة الى بعض المنتجات لتحسين نوعها . ويمكن أيضا صنع مزيجات خاصة لسد احتياجات العملاء من منتجات ذات مواصفات غير عادية . والهدف من مزج البنزين هو الوصول الى درجة معينة من الاكتان . فهو قد يحتوي على ست مواد أساسية ، بما في ذلك النفثا الخفيفة والنفثا الثقيلة والمهدبات الحرارية والمهدبات بالوسيط الكيميائي مع كمية ضئيلة من البوتان . ويضاف رابع أثيل الرصاص لرفع درجة الاكتان للتمييز بين البنزين العادي والبنزين الممتاز .

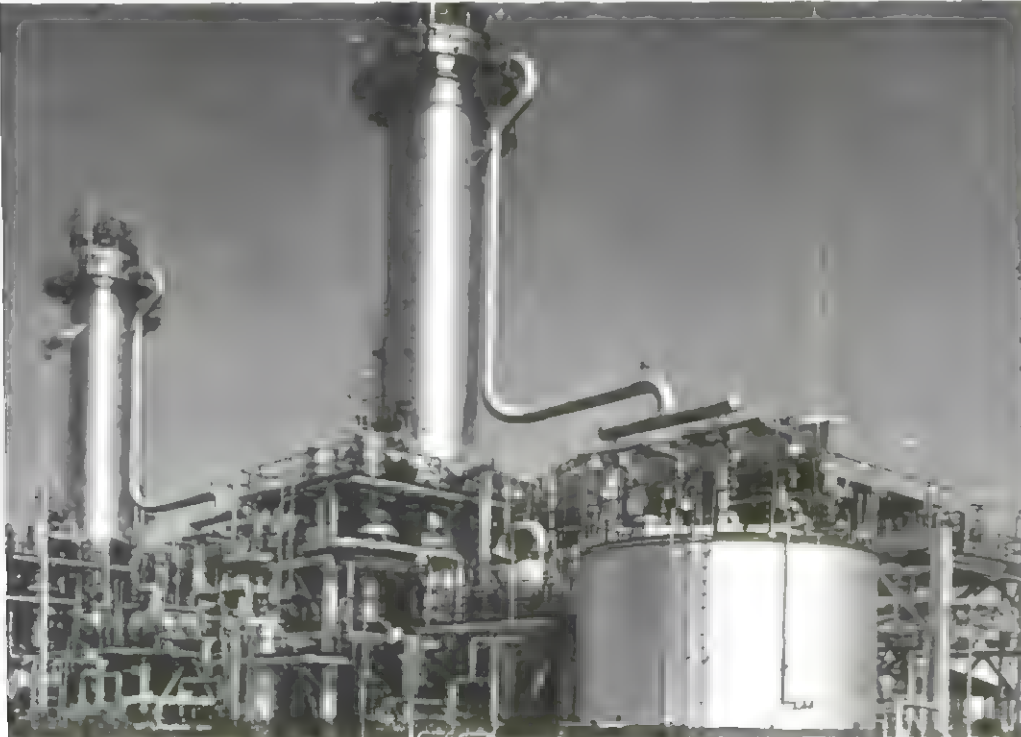
ومع أن الكيروسين نفسه لا يتألف من مزيج الا أنه قد يمزج مع مواد أساسية أخرى للحصول على منتجات معينة منها وقود النفاثات وأنواع خاصة من زيوت الديزل ومواد تخفيف الاسفلت .

ويمزج زيت الديزل لانتاج نوع أبيض وآخر أسود . والنوع الأبيض ، الذي هو أجود من الآخر ، يستعمل وقودا لمحركات الديزل الصغيرة في حين ان النوع الأسود يستعمل وقودا لمحركات الديزل الكبيرة مثل محركات السفن .

أما زيت الوقود فلا يحدد تركيبه مسبقا بل تفرص النوعية باستمرار أثناء عملية المزج حيث تستعمل المخففات ، مثل الكيروسين والديزل ، لتخفيض درجة لزوجته . ويستعمل زيت الوقود الثقيل بصورة رئيسية كوقود للسفن التي يزود الكثير منها بالوقود من فريضة رأس تنورة .

الاسفلت

يتألف الاسفلت ، وهو أثقل منتجات الزيت الخام ، في معظمه من الرواسب المتخلفة من عدة عمليات تقطير ، تتم آخرها داخل عمود فراغي لأن درجات الحرارة العالية اللازمة لتقطير المنتجات الثقيلة تحت الضغط الجوي تسبب تفكك الجزيئات مما يؤدي الى تغير طبيعة المنتجات . ويحقن البخار الى داخل



جانب من معمل غاز البترول السائل في معمل التكرير برأس تنورة .

السفن وهي مغطاة بالصقيع الأبيض حتى في أحر أيام الصيف .

أما الغاز المعبأ في الاسطوانات والذي يباع محليا فهو مزيج من البروبان والبوتان (بنفس النسب تقريبا) ، وقد أضيفت اليه مادة ذات رائحة تساعد على اكتشاف التسرب أثناء الاستعمال . وتحتوي هذه الاسطوانات على مادة سائلة تحت ضغط يبلغ حوالي ١٢٥ رطلا على البوصة المربعة . غير أن هذه الاسطوانات لا تعبأ في معمل التكرير ولكن الشاحنات الكبيرة تقوم بنقل هذا السائل من معمل التكرير الى شركات خاصة تتولى تعبئته .

المنافع والخزانات

يتزود معمل التكرير والقرضة وأحياء أرامكو السكنية بالطاقة الكهربائية والبخار والماء المعالج والهواء المضغوط والماء المكرر من قسم المنافع التابع لمعمل التكرير الذي ينتج الطاقة الكهربائية باستعمال مولدات توربينية غازية وأخرى بخارية . وتزاد طاقة توليد الكهرباء لتلبية الطلب المتزايد بسبب بناء مرافق جديدة ، وتبلغ طاقة توليد الكهرباء الآن ما يزيد على ١٣٥٠٠٠٠٠٠٠ واط . وينتج الماء المقطر اللازم لقيما للمراجل وللشرب بتبخير مياه الآبار بعد تليينها وتبخير مياه البحر . وينتج البخار في المراجل بضغط ٦٠٠ رطل أو ١٥٠ رطلا على البوصة المربعة . ويبلغ مجموع طاقة المراجل أكثر من ٣٥٠٠٠٠٠٠ رطل من البخار في الساعة .

ولضمان استمرار العمليات في معمل التكرير يخزن الزيت الخام والمنتجات الوسيطة والنهائية في خزانات قريبة . ويوجد أربعة أنواع من أوعية التخزين التي تستخدم لحزن الزيت الخام والمنتجات التي تختلف درجات تبخيرها : فهناك خزانات بسطح مخروطي وخزانات عائمة السطح وخزانات شبه كروية وأوعية الضغط العالي . ومعظم الخزانات ذات السطح المخروطي والخزانات العائمة السطح لها أجهزة قياس أوتوماتيكية . وخزانات المزج مجهزة بخلاطات ذات مراوح بريش . وفي معمل التكرير حوالي ١٧٠ خزانا بين كبير وصغير يبلغ مجموع سعتها ما يقرب من ٦٠٠٠٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام والمنتجات المكررة والماء

تصوير : برنت مودي وشركة التصوير الوطنية .

البتروكيمائيات . وهو اما بروبان أو بوتان أو مزيج منهما . ونظرا لسرعة تبخر غاز البترول السائل يجب حفظه على شكل سائل اما بواسطة الضغط أو التبريد . فالغازات الخارجة من معامل فرز الغاز من الزيت ومن معامل التركيز تضغط لكي يصبح بالامكان تبريدها وتحويلها الى سائل . وبعدئذ تجزأ المنتجات السائلة ، وتدعى سوائل الغاز الطبيعي ، للحصول على البروبان والبوتان ثم تعالج وتجنف . أما السائل المتخلف ، وهو البنزين الطبيعي ، فيباع على أنه نفثا خفيفة . ولأرامكو معامل ضغط في أماكن متعددة وكلها تنتج سوائل الغاز الطبيعي . وفي رأس تنورة تجزأ سوائل الغاز الطبيعي وتعالج وتجنف في معامل مختلفة . وتضخ منتجات البروبان والبوتان النقية الى منطقة القرضة البحرية في رأس تنورة حيث تبرد لكي يمكن تخزينها تحت الضغط الجوي العادي . ويخزن البوتان على حرارة ٣٢ درجة فهرنهايت (صفر مئوي) والبروبان على حرارة ٤٠ درجة فهرنهايت تحت الصفر (٤٠ درجة مئوية تحت الصفر) .

وكان معمل غاز البترول السائل المبرد في رأس تنورة واحدا من أول المعامل التي صممت خصيصا لشحن هذا الغاز على ناقلات مبردة ذات تصميم خاص . وانه لمنظر غريب أن يشاهد المرء الأنابيب التي تنقل الغاز الى

العمود الفراغي لمساعد على نزع جميع العناصر الخفيفة الباقية من الاسفلت . وللحصول على أنواع مختلفة من الاسفلت يمكن تعديل درجة الحرارة والضغط الفراغي وكية البخار المحقون . ويفحص الاسفلت الناتج في المختبر لتحديد صلابته ولزوجته وغير ذلك من الخواص للتأكد من أنه لا يحتاج الى المزيد من المعالجة ، وعندئذ يمكن استعماله في رصف الطرق ، أو يمكن أن يخفف بمزجه بالنفثا الثقيلة أو الكيروسين أو زيت الديزل للوصول الى درجة اللزوجة المطلوبة . فالاسفلت المخفف يسهل استعماله ومزجه كما أن المنتجات الخفيفة المزوجة به تتبخر بعد رصف الطرق .

واذا لزم انتاج اسفلت صلب للسطوح وطلاي الأنابيب فان الاسفلت المتخلف من التقطير الفراغي يرسل الى وعاء تحويل الاسفلت حيث يتأكسد جزئيا بنفخ الهواء داخل الوعاء . وأرامكو لا تصدر الاسفلت بل تنتج منه ما يكفي لاحتياجاتها واحتياجات المملكة العربية السعودية . وجميع الطرق ومهابط الطائرات تقريبا التي أنشئت في المملكة منذ عام ١٩٥٠ قد رصفت بالاسفلت المنتج في رأس تنورة .

غاز البترول السائل

يستعمل غاز البترول السائل على نطاق واسع في الأغراض المنزلية والصناعية وفي صناعة



جانب من معمل الأسفلت في رأس تنورة وقد اجريت عليه توسعة ضخمة مؤخراً .

كنت أود أن الأخ الأستاذ الكريم أمين مدني اختار صحيفة غير هذه المجلة «قافلة الزيت» عدد جمادى الأولى ١٣٩٤ ص ٣٦ - ٤٠ لنشر ملاحظاته حول ما نسب اليّ من آراء تتعلق بكتابه «العرب في أحقاب التاريخ». وما دام الأستاذ المدني اختارها فمن حقّي على رئيس تحريرها أن يفسح المجال لنشر ملاحظات حول ما طرّقه الأستاذ أمين من مسائل متشعبة نسب اليّ آراء حولها ، وما كل قارئ اطلع على ما نشرته والأستاذ المدني لم يورد نصوصاً وافية توضح لكل قارئ تلك المسائل على جليتها وهي :

- صلة نسب عبد الله بن مسعود الهذلي بقبيلة القارة .

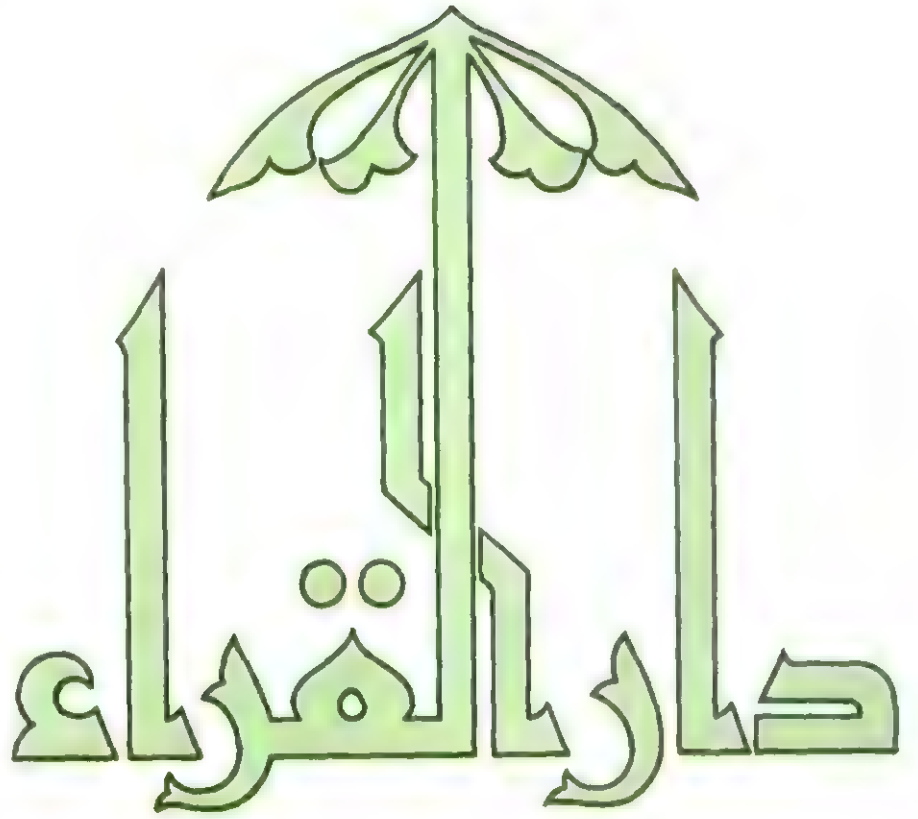
- صلة نسب بني زهرة بقبيلة القارة أيضاً .
- حول الشاعر الذي سماه الأستاذ المدني (ابن خذام) فخالفته في هذه التسمية .
- ماذا يقصد بالعروض أحد أقسام الجزيرة عند العرب ؟
- مكان قبر العالم الجليل محمد بن شهاب الزهري .
- مؤلف كتاب «الأخبار الطوال» .

ولا يعني من ذلك البحث المسهب الذي استغرق في هذه المجلة خمس صفحات بعنوان (القارات وصلات عضل والديش بهذيل وبني زهرة) إذ قلم الأستاذ السيل جال في أوسع مجال ، ولن يتسع صدر هذه الصحيفة لمجاراته ، ولو حاولت ذلك لوقفت عند أكثر جملة وقفات طويلة ، فإذا كان صديقنا الكريم الأستاذ أمين مدني يكتب الاسم الواحد في أربع صور أكثر من سبع مرات مثل (أبغ) (أ) الذي تسهل همزته ياءاً فيقال فيه (أبغ) إلا أن الأستاذ يكتبه (أبغ) مرتين و (أبغ) و (أبغ) أربع مرات و (أبغ) وله العذر في ذلك ، فكيف بنصوص مضطربة من مصادر كثيرة بصرف النظر عن الاستنتاجات والتعليقات التي لكل قارئ وباحث الحق في أن يخالف فيها غيره ١٩

ان الأستاذ المدني يريد من ذلك البحث ، نفي وجود دار في المدينة في عهد الرسالة تدعى (دار القراء) مع أنه يدرك :

١ - ان كبار المؤرخين كابن سعد في «الطبقات» وابن جرير في «تاريخه» وابن عبد البر في «الاستيعاب» وغيرهم نصوا على

(١) أنظر كتاب «الأكال» ج ١ ص ١٣



دار القراء

في المدينة المنورة

بِقلم: الأستاذ حمد الجاسر

أن عبد الله ابن أم مكتوم لما قدم المدينة مهاجرا نزل (دار القراء) .

٢ - ويدرك أن مؤلف كتاب « التراتيب الادارية » (٢) نظام الحكومة النبوية - وضع لذلك الخبر عنوانا هو : (اتخاذ الدار ينزلها القراء ويستخرج منه اتخاذ المدارس) .

٣ - ويدرك أن الأستاذ أحمد أمين في « فجر الاسلام » نقل عن المقرئ ذلك الخبر ، وعلق عليه بعدم علمه عن هذه الدار ، وهل خصصت للدراسة أم لا .

٤ - ويدرك أن الرسول (ص) لما قدم المدينة أقطع الناس الدور فجاء حي من بني زهرة يقال لهم بنو عبد بن زهرة ، فقالوا : نكتب عنا ابن أم عبد ، يقصدون عبد الله ابن مسعود فقال صلى الله عليه وسلم « فلم ابتعثني الله اذن !؟ ان الله لا يقدر أمة لا يعطي الضعيف فهم حقه » .

٥ - ويدرك أن عبد الله بن مسعود هذلي النسب ، ولكنه حليف لبني زهرة ، وقد أقام فيهم بمكة ولهذا أنزله الرسول (ص) معهم لما هاجروا .

٦ - ويدرك أن مخزومة بن نوفل الذي أضيفت اليه الدار من بني زهرة .

٧ - ويدرك أن دار عبد الله بن مسعود التي يقال لها دار القراء دخل قسم منها المسجد النبوي في زيادة الوليد ودخل باقيها المسجد في زيادة المهدي (٣) .

٨ - ويدرك أن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) كان من مشاهير القراء في عهد رسول الله (ص) وقال عنه الذهبي في « طبقات القراء » (كان أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) وأقرأه ، قرأ عليه القرآن طائفة ، وتفقه به خلق كثير وكانوا لا يفضلون عليه أحدا في العلم) ، وقال عنه النبي « انك لعليم معلم » وقال : « من أحب أن يقرأ القرآن غصبا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد » ، وقال ابن مسعود : لقد علم أصحاب رسول الله (ص) اني أقرأهم لكتاب الله عز وجل .

هذه النصوص المقدمة أورد أكثرها الأستاذ أمين في كتابه ، ولكنه عقب عليها قائلا : (فكل من تحدث عن قراءة القرآن وتعليمه وجمعه ونسخه وحياة عبد الله بن مسعود لم يذكر أن داره كانت

مدرسة للقرآن دون سواها ، أو كانت تسمى دار القراء أو دار القرآن) . (٤)

ثم يأتي بتعليل لكلمة (القراء) قائلا : (النص الذي ذكره الواقدي وابن عبد البر لا يكفي دليلا على أن دار القراء كانت مدرسة في عهد النبي (ص) وخلفائه) ثم يقول : (وان عبد الله بن مسعود ، وأخاه عتبة من القاريين ، وان بني زهرة الذين منهم عبد الرحمن ابن عوف يقال لهم القارة) ، ويقول أيضا : (وان اسم دار القراء صحف وان التصحيف اما أن يكون وقع في اسم القارة الذي كان يطلق على ابن عبد ومنهم الزهريون فقد يكون اسم (دار القراء) في الأصل (دار القارة) وكتابة (القارة) بدون ألف تجعلها قرية من (القرة) و (القرة) بضم القاف عند العامة تعني جمع قارئ وعلى ذلك تكون دور بني زهرة ودار عبد الله وعتبة ابني مسعود سميت جميعها بـ (دار القارة) ثم صحفت ، فأصبحت تعرف بدار القراء .

ثم جاء بمقاله في هذه المجلة ليؤيد صلة قبيلة القارة ببني زهرة وبقبيلة هذيل والمقال بين يدي القارئ ولا أريد أن أزيده به معرفة وقد تكون خلاصته قول الأستاذ أمين (فافتراض أن العامة قد تكون أسست محلة بني زهرة (دار القارة) قام على حيثيات لا يمكن للباحث عن حقيقة أوضاعها الشكوك أن يدير لها ظهره) ، ثم أضاف تعليلًا جديدًا هو (قد يكون اسم (دار القارة) مصحفاً أصله (دار القراء) بفتح القاف - صيغة مبالغة - وان دور بني زهرة جميعها نسبت للقراء عبد الله بن مسعود) والذي أعلق به على ما تقدم هو :

أولا : قبيلة القارة من أحابش قريش ومن حلفائهم ولم يذكر مؤرخو المدينة الذين وصلت اليها مؤلفاتهم أحدا هاجر من هذه القبيلة الى المدينة حتى تكون لهم فيها خطة تعرف باسم دار القارة ، وقد بقوا على حلفهم لقريش ، وغزوا معهم في غزوة أحد ، بعد الهجرة بزمن ، وإياهم عنى كعب بن مالك بقوله :

وجئنا الى موج من البحر وسطه

أحابش منهم حاسر ومقنع (٥)
ثانيا : بنو زهرة من قريش ، أرفع نسباً من القارة - الحلفاء - فكيف يتسبب هؤلاء

الى حلفائهم ويتركون صريح نسبهم وبنو زهرة لهم فضل الهجرة والقدم في الاسلام ، ومنهم كبار الصحابة ومشاهير العلماء بخلاف القارة .

ثالثا : نسب القارة أنزل من نسب هذيل بتسعة آباء كما في كتب النسب ، وقول ابن دريد أن الهون وعضل والقارة اخوة هذيل يقصد أنهم من بني خزيمة بن مدركة وهذيل أخو خزيمة ، وهو أصرح نسباً من نسب القارة .


رابعا : صلة عبد الله بن مسعود ببني زهرة صلة حلف فأمة منهم على ما نص على ذلك خليفة بن خياط (٦) ولهذا شاركهم في المنزل فجاورهم بمكة ، ثم في المدينة .

خامسا : غني مؤرخو المدينة بذكر خططها في الجاهلية والاسلام وحددوا منازل القبائل التي خط لها الرسول فيها خططا ، ولم يذكروا من بينها فيما وصل اليها من مؤلفاتهم - مثل « أخبار المدينة » لابن شبة و « المغانم المطابة » للفيروز آبادي و « وفاء الوفاء » للسمهودي وغيرها ، لم يذكروا دارا للقارة والحوادث التاريخية هي حوادث وقعت وليست آراء تستنتج من أخبار عامة .

وبالاجمال فنفي وجود دار تدعى (دار القراء) مع ما ورد في اثباتها من النصوص لا أرى أن مجرد الاستنتاج يكفي لأبطال تلك النصوص ، وكذا القول بأن أصل كلمة (القراء) محرف عن (القارة) وان العامة هي التي حرفته ، فالكذب التي وردت فيها تلك النصوص تداولها العلماء منذ مئات القرون فما دخل العامة فيها ؟

الحرية الرأي لا يشك أحد في احترامها وتقديسها ما لم تصل الى درجة محاولة هدم نصوص تاريخية لا يجد الباحث أمامها أية وسيلة من وسائل الشك في صحتها ، وصديقنا الأستاذ أمين مدني من أبعد الباحثين عن القول بهذا الرأي ، وأصدق دليل على ذلك هو كتابه الممتع الذي صدر جزؤه وهما قائمان على دعائم من النصوص التاريخية مما شاهده لنا متقدمو المؤرخين .

وارجى الحديث عن المسائل الأخرى التي أشار الأستاذ الى رأيي حولها حتى أطلع على تفصيل آرائه فيها وله مني أطيب تحية ■
محمد الجاسر - الرياض



طُرُقُ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْبَحْرِيَّةِ

رسم لمجموعة من سمك السلمون

بالرغم من الانصارات العلمية التي حففها العلماء في مجال دراسة ظواهر المحيطات والبحار وإماطة اللثام عن كثير من الغوامض والأسرار، فإن ثمة ظاهرة علمية ما زالت تستقطب اهتمام العلماء وجهودهم.. تلك هي الإشارات الكيميائية CHEMICAL SIGNALS التي تطلقها أنواع عديدة من الكائنات البحرية كوسيلة للتخاطب والتفاهم والاتصال فيما بينها.. وفي سبيل ذلك يعكف علماء البحار على إجراء سلسلة من التجارب والأنجاث البيولوجية على عدد من المخلوقات الضخمة ولاسيما الحيتان، لحل شفرة هذه الإشارات الكيميائية والوقوف على ما يسمى بالنظام الاجتماعي للكائنات العضوية البحرية.

عضوا اجتماعيا هاما بين مجتمع المخلوقات البحرية، فهي تطلق اشارات صوتية تمتد الى مسافات طويلة، ما تزال رموزها تحتاج الى تفسير، وهذه الاشارات تبدو للانسان وكأنها سمفونيات غريبة. فالاشارات الصوتية التي يطلقها الحوت الأحذب مثلا، تبقى مدة ٤٥ دقيقة وتستمر أحيانا مدة ساعة، وهذه الاشارة الصوتية تتكرر بصورة متشابهة تقريبا. وقد تتخللها نبرات مرتفعة ربما تعكس حالة الحوت النفسية، ونبرات منخفضة تبدو وكأنها كلمات تمتد ذبذباتها الى مئات بل الى آلاف الأميال اذا لم يعترض طريقها حاجز صوتي. ويرى الخبراء في تصرفات المخلوقات البحرية أن الأصوات ذات الذبذبات المنخفضة تدل على نوع الحيوان، ولربما كانت ترمز الى مكان وجوده، وبهذه الطريقة تتمكن الحيتان من التعرف الى أمكنة وجود كل منها بين مياه المحيط الشاسعة. أما الذبذبات الصوتية المرتفعة فقد تدل على نوع الجنس وحالته النفسية أو احتياجاته، وبما أن لغات الحيوانات تعتبر الوسيلة التي تنظم بواسطتها حياتها بالنسبة لعلاقة أحدها بالآخر، مثل الانسان تماما، لذلك فإن الاتصالات تعتبر الدعامة الأساسية لاستمرار مراحل حياتها. وأما بالنسبة للأسماك والمخلوقات البحرية الأخرى فقد تشكل أضعف نقطة في نظام حياتها. وبما أن هذه الاشارات التي تطلقها الحيوانات البحرية يمكن ايقافها بواسطة حواجز اعراضية بسيطة، فإن مثل هذا العمل قد يكون له أثر مفعج أو رد فعل

المخلوقات البحرية، وذلك لأن وسائل الاتصال تعتبر شيئا أساسيا بالنسبة للحياة، فهي الطريقة التي يتعرف بواسطتها النبات أو الحيوان الى نوعه الخاص، أو الى التمييز بين أصدقائه وأعدائه، ومعرفة أنواعها وفصائلها وأعمالها. وهذا ينطبق بالفعل على جميع الكائنات الحية بما فيها جرثومة البحر الصغيرة. ونحن نعرف أن الكائنات العضوية الدقيقة تعتبر مسؤولة عن إعادة دورة الأعمال العضوية في البحار، ويتصل بعضها ببعض البعض الآخر عن طريق اشارات كيميائية.

ان مثل هذه الظاهرة، لتثير دهشة الانسان حينما يرى مدى صغر حجم هذه الكائنات الحية الدقيقة وبساطتها، وهذه الظاهرة تنطبق على الحيتان التي تعتبر من أكبر الحيوانات الثديية والتي يصل طول بعضها الى مائة قدم ويصل وزنه الى حوالي ١٥٠ طنا. وما يؤسف له أن مستقبل هذه الحيتان بات غير مأمون لأن بعضها ينتمي الى نوع الحوت الأزرق، الذي يوشك على الانقراض بمواصلة الانسان صيده وقتله. ورغم بعض الحماية الممنوحة لهذا الحوت فإن عدده آخذ بالنقصان. ومن المحتمل أن يكون هناك عدد من هذه الحيتان الآن التي لا تستطيع الاتصال ببعضها البعض، أو أن تجد لها رفيقا، أو حتى الاجتماع معا لتكون قوة دفاعية ضد أعدائها، مما يعرضها الى الفناء. ولقد بدأنا في السنوات الأخيرة بمعرفة بعض جوانب حياة هذه الحيتان وكيفية اتصال بعضها ببعض. فهناك دلائل تشير الى أنها قد أصبحت

يقول الدكتور «جون ه. تود» الذي يعمل حاليا عالما مساعدا في معهد «وودز هول» لدراسة ظواهر المحيطات في ولاية ماساشوسنيس الأمريكية والذي أسهم في اقامة مختبر للاتصالات بين المخلوقات البحرية يقول: بينما كنت قبل سنوات أجري دراسة قرب ساحل خليج «هدسن» هبت عواصف شديدة، كانت أمواج الماء خلالها تندفع بشدة نحو الشاطئ، وكان البرد قارسا جدا، وفجأة شاهدت في أعلى قمة موجة هائلة قنديل بحر ضخما يصارع الأمواج العاتية في محاولة يائسة للبقاء بعيدا عن الشاطئ، وقد لفته الموجة العاتية ولفظته بقوة نحو الشاطئ. وكان هذا القنديل الضخم من نوع «سيانيا - Cyanea» لونه أحمر قان، ويبلغ قطره حوالي أربعة أقدام، وله مجسمات مثل الخيوط تمتد بضع ياردات في جميع الجهات. وقد لاحظت أن نبضه ينخفض كلما أقصته الريح عن الشاطئ وأخذت تجفف عنه الماء. وكما يفعل الأطفال تماما جريت وأحضرت مجذافا وحاولت أن أدفع هذا القنديل الضخم الى البحر على أمل أن تعود اليه الحياة. وفي تلك اللحظات انتابني شعور هائل، لم يفارقي أبدا، وهو ان ثمة أسرارا كبيرة عن حياة البحار والمحيطات ما زالت غامضة ومجهولة لم يكشف النقاب عنها. وكان ذلك المشهد حافزا ومشجعا لي على اعتزام دراسة تصرفات المخلوقات البحرية وظواهر سلوكها، بالإضافة الى محاولة التعرف الى ظاهرة الاتصال التي تتم بين

« Marine Communication Science »

الذي قد يقودنا الى اكتشاف وسائل بيولوجية جديدة تساعد على اقامة مزارع على شاطئ البحر لتربية الأسماك ولانماء الثروات المائية . وفي الوقت الذي نستطيع فيه فهم هذه الاشارات الكيميائية التي تعتبر احدها أسرار حياة الكائنات البحرية . فاننا بذلك نستطيع أن نقلدها . فهذه الاشارات الكيميائية والسمعية ، يمكن انتقاؤها واستعمالها بعد ذلك للحفاظ على حياة الحيوانات البحرية وتكاثرها . وعلى سبيل المثال يمكن استعمال بعض الاشارات الصوتية كوسيلة لاغراء الأسماك وجذبها نحو أماكن الحاضنات البحرية ، أو تربيتها في المزارع البحرية . وإذا ما عرفنا تصرف كل نوع من المخلوقات البحرية والاشارات التي يطلقها ، استطعنا أن نضع الأسس السليمة لهذه الأعمال والدراسات البحرية المعقدة . وقبل بضع سنوات ، قام معهد « وودز هول » السالف الذكر ، بتنظيم جماعة من الخبراء ،

حوت « البالين » من المخلوقات البحرية التي يجري عليها علماء البحار دراسات لمعرفة ظاهرة الاتصال فيما بينه .

صغارهما التي تركت فريسة للاعداء بدلا من العناية بها . وهكذا فإن الخيوط التي تربط مخلوقات البحر بعضها ببعض قد تصاب بعطب وذلك عندما يفقد بعضها المقدرة على اتصاله البعض الآخر . وهناك أمور أخرى يمكننا الوقوف عليها بالنسبة الى بعض جوانب الحياة لدى الحيوانات البحرية وكيفية اتصالها ، وذلك عن طريق « علم الاتصال المائي » -

سواء على تصرفاتها الاجتماعية ، مما قد يؤدي الى حجب جبل جديد منها عن الوجود . ومن ناحية أخرى ، فإن هناك مناطق ساحلية كانت معروفة بكثرة وجود أنواع عديدة من الأسماك والمخلوقات البحرية الأخرى ، وقد أصبحت الآن خاوية منها ولم يكن السبب في ذلك صيدها ، بل ربما حجز الاشارات الصوتية الصادرة عنها أو عزل الأم والأب عن



لدراسة طرق الاتصال المتبعة بين المخلوقات البحرية . وقد ركزت هذه الجماعة جهدها على طرق الاتصال الكيميائية باعتبارها أكثر الطرق انتشارا بين الأحياء المائية ، غير أن نتائج هذه الدراسة كانت أحيانا مخيبة للآمال ، وأحيانا أخرى مثيرة ومفيدة ، لأن دراسة مثل هذه الأسرار الخفية التي تكتنف حياة البحار ، قد تجعل الانسان يشعر بمدى ضآلة معرفته بالبحار وما تحتضنه في أجوافها من مخلوقات . ومن بين هذه الأسرار ، مقدرة الأسماك على الرحيل والانتقال الى أماكن قاصية جدا ثم العودة الى مسقط رأسها لتتوالد وتتكاثر هناك . ومن هذه الأسماك الرحالة نجد سمك « السلمون » الذي يقادر مكان تولده في أعالي الأنهار ويتجه نحو المحيطات حيث يبقى بضع سنوات ، ثم تدفعه غريزته الى العودة الى مسقط رأسه ليضع بيضه هناك . ورغم ضآلة معرفتنا بالظروف المحيطة بظاهرة الرحيل لهذا النوع من الأسماك ، أثناء وجوده في المحيط ، فاننا عرفنا بعض الشيء عن المرحلة الأخيرة من حياته وهو في طريق عودته الى مسقط رأسه ، فقد تبين لنا أن مراكز الارشاد الكيميائية ، هي التي توجه هذه الأسماك أثناء رحيلها . وقد دلت التجارب على ان سمك « السلمون » يفقد مقدرة على معرفة مجرى النهر الذي جاء منه اذا ما أغلق أنفه حيث يفقد حاسة الشم لديه . كما عرض المختصون بدراسة الأجهزة العصبية طريقة خاصة تبين أهمية حاسة الشم لدى هذا النوع من السمك في تحديد معالم طريق عودته ، وذلك بالاستماع الى الذبذبات التي يصدرها دماغ السمكة العائدة الى مسقط رأسها ومقارنتها بالذبذبات التي تطلقها السمكة المقيمة ، فحينما يقترب السمك العائد الى مسقط رأسه من ساحل البحر ويبدأ في طلوع النهر ، يتوقف جزء كبير من الدماغ عن اصدار الذبذبات تماما ، بينما تبدأ منطقة حاسة الشم عملها بمنتهاى النشاط ، وكأنما قد توقف ذلك القسم بانتظار الاشارات الكيميائية من الأقسام المجاورة للدماغ . وهذه الاشارات هي التي ترشد كل سمكة الى المكان الذي ولدت فيه قبل سنين عديدة .

لقد أجريت دراسات في معهد « وودز هول » لمعرفة الأمور التي تعتمد عليها الأسماك في تحديد معالم الأنهار المؤدية الى مسقط رأسها وذلك خلال المرحلة الأخيرة من رحلة العودة ، وقد أجريت

التجارب أيضا على نوع آخر من السمك ينحدر من فصيلة السردين يدعى « الرنكة - Herring » من نيو انجلاند لكونه يضع بيضه في جداول عديدة . وبما أن هذه الجداول يبعد أحدها عن الآخر بضعة أميال فقط ، فقد بدا واضحا أن هناك اختلافا في الرائحة المنبعثة من هذه الجداول التي تعتمد عليها الأسماك في تحديد معالم طريق عودتها . ولكننا وجدنا عكس ذلك عندما نصبنا الشباك واصطدنا مجموعة من سمك الرنكة من نهر « بورنا دال » ، وبعد أن تعرفت الى الجداول التي انحدرت منها وبدأت رحلتها فيها . ثم وضعنا هذه المجموعة في جدول اصطناعي تابع للمختبر السالف الذكر تصب فيه مياه ارتوازية . وقد صمم هذا الجدول الاصطناعي على شكل « Y » ثم وضعنا هذه المجموعة من الأسماك عند ملتقى الذراعين حتى تتعرف الى طريق عودتها ، ثم أضفنا عينات من مياه الجداول الأصلية . والذي حدث هو أن هذه المجموعة

من السمك بقيت عند نهاية الجدول الذي كانت تنساب فيه مياه الآبار الارتوازية . وبعد ذلك بدأنا في اضافة مياه الجداول الأصلية الى إحدى الذراعين ، كل جدول على حدة ، وعندما واجهت الأسماك مياه جداولها الخاصة أخذت اتجاهها الصحيح واختارت الذراع الذي تنساب فيه مياه جدولها . وهكذا ثبت لنا أن مياه الجداول الأصلية تحتوي على آثار كيميائية ترشد السمك الى مقر تفقيسه . وعلمنا الآن أن تعرف طبيعة هذه الآثار الكيميائية الموجودة في الجداول . فقد تقودنا هذه المعرفة الى طرق جديدة تمكنا من الاشراف على توجيه الأسماك المهاجرة . كما يتمكن مربو الأسماك بواسطة هذه الارشادات أو الاشارات الكيميائية ، من اجتذاب اعداد من الأسماك



رسم لاصدى جرادات البحر « Lobster » التي تخضع لتجارب العلماء .

الكاملة النمو الى أحواض خاصة ، ثم يجمعونها ويفرغون ما بداخلها من بيض ومن افرازات ليتولوا عملية تفقيس البيض بطرق اصطناعية . ومن ناحية أخرى يقوم مربو الأسماك بتكييف الصغار وترويضها على اشارات كيميائية خاصة ثم تركها لتذهب الى البحر حيث تقضي عدة سنوات لتعود بعدها الى مقر تفقيسها الاصطناعي مسترشدة بعلامات كيميائية مميزة تلقى في المياه الساحلية . وقد لا يمضي زمن طويل حتى يصبح لدى مربو الأسماك علامات كيميائية مميزة يستعينون بها في جلب الأسماك الى الأحواض الخاصة بها والواقعة على امتداد الساحل . وإذا ما تمكنا من تطوير مثل هذه السبل الفنية الخاصة بتربية الأسماك ، فمن المحتمل أن يعود سمك « السلمون » مرة ثانية

الى موطنه الأصلي في «نيو انجلاند» . وما لا شك فيه أن مقدرة السمك على الهجرة من موطنه والعودة اليه ، تعتبر من غرائب الحياة لدى المخلوقات البحرية ، كما أن الرابطة الاجتماعية القائمة بين هذه المخلوقات وطرق الاتصال فيما بينها لا تقل غرابة عنها . فقد اكتشفت منذ سنوات خلت ان بعض أنواع السمك قد استحدث طرقا كيميائية لنشر المعلومات الاجتماعية فيما بينها . وهذا النوع من السمك يستطيع أن يتعرف الى فصائله ، وإلى الإله ، وإلى عدوه وإلى أحوال الأسماك الأخرى ، بل ويستطيع أن يميز بين الأنواع الأخرى بواسطة «الروبو» أو الاشارات الكيميائية - Chemical Codes or Signals - وحدها . وهذا السمك يعتبر أن العالم يتكون بالنسبة اليه من مواد كيميائية دائبة التغير . وقبل التحاقى بمعهد «وودز هول» بقليل لاحظت أن سمك «الستور - Catfish» الذي كنا نجري عليه سلسلة من الدراسات ، كان يتصرف تصرفا عديا ومشاكسا . فقد كان بعضه أحيانا يقتل البعض الآخر اذا ما حدث نزاع أو صراع فيما بينها . ولكن حينما زدنا عدد هذه الأسماك في حوض الاختبار عزفت عن تصرفها العدائي وأخذت تتصرف تصرفا عاديا وطبيعيا . وقد أظهرت الأبحاث المستمرة ، أنه عندما يرتفع عدد هذه الأسماك الى بعض المستويات ، فإن سمكة السلور تفرز مواد كيميائية « Antiaggression Substances » تساعد بدورها على وضع حد لأسباب العداء بين أفراد مجتمعها وإشاعة الأمن والتعايش والتعاون فيما بينها . وقد تمكنا بذلك من حقن هذه المواد الكيميائية الفعالة في أحواض تحتوي على أعداد قليلة من السمك . كما أدخلنا عنصر التآلف بين أسماك كانت فيما مضى تكن روح العداء لبعضها البعض . وعلى ضوء هذه النتائج ، من المحتمل جدا استخدام مواد التآلف الكيميائية هذه في مزارع تربية الأسماك نظرا لأنه ليس من اليسير في الوقت الحاضر المحافظة على الأحياء البحرية في حالة صحية جيدة في الأحواض المائية ، ولناخذ على سبيل المثال تصرفات «جراد البحر - Lobsters» انه سريع الغضب ، وقد يجنح الى الافتراس اذا ما وضع في تلك الأحواض الاصطناعية

الخاصة بتربيتها . وتعتبر تربية جراد البحر تجارة محدودة بسبب هذا التصرف العدائي . لذلك فلا بد من عزله في أحواض خاصة مما يزيد في تكاليف تربيته . ولو أننا استطعنا أن نكتشف علاجا ناجعا لوضع حد لهذا العداء ، لانخفضت تكاليف تربيته كثيرا .

هذا ، وقد قامت مجموعة من العلماء في معهد «وودز هول» بدراسة تصرفات جراد البحر من الناحيتين الفسيولوجية والاجتماعية ، واكتشفت حالة استثنائية في تصرفاته العدائية نحو جيرانه . فاذا ما انتزعت الأنثى قشرتها الخارجية زالت روح العداء لدى الذكر فوراً وصار يرقص مع الأنثى رقصا وديا يصعب تصويره . وفي مثل هذا الجو المفرح يشبع المرح بين الذكور ويحل التآلف والوثاق . وحالما يتألف الذكر والأنثى تبدأ قصة جديدة تتعرض فيها حياة الأنثى الى الخطر ، لأن البفها الذي كانت حياته مفعمة بالحساس والغيرة لا يلبث أن يتقلب فجأة الى عدو ويهاجمها ، وهنا تحاول الأنثى أن تنجو بحياتها فتلجأ الى مكان أمين تقيم فيه ثلاثة أيام أو أربعة الى أن تصبح قشرتها الجديدة قاسية . ومن الأمور الغريبة الأخرى التي استقطبت اهتمام فريق العلماء ابان دراساتهم لتصرفات جراد البحر ، اكتشافهم أن هناك مادة مثيرة للغريزة الجنسية لها تأثير كبير في تصرفات هذا النوع من الجراد وسلوكه الجنسي وتعرف هذه المادة علميا بـ «فرمون - Pheromones» وعندما تنتزع أنثى الجراد قشرتها الخارجية فانها تفرز مادة الفيرومون المحبة لدى الذكر . وقد اكتشف العلماء هذه الظاهرة من خلال تجربة قاموا بها في المختبر بعد أن أخذوا عينه من ماء حوض انتزعت فيه احدى اناث جراد البحر قشرتها وسكبوها في حوض احتجزوا فيه عدداً من الذكور . وعلى الفور تحولت تصرفات الذكور العدائية الى تصرفات كلها رقة ودعة . وفي تجربة ثانية أخذ هؤلاء العلماء عينه أخرى من الماء نفسه وسكبوها في حوض يضم ذكرا وأنثى من جراد البحر لم يحن وقت اخصابها . وعندما تواتت الأنثى عن انتزاع قشرتها ، لاحظ العلماء أن الذكر أخذ يتودد اليها رغم تمنعها وعدم تجاوبها معه . عندها بدأ العلماء يدركون مدى تأثير الاشارات الكيميائية على

نمو جراد البحر وعلى تصرفاته في الوقت نفسه . ويعتقد العلماء بأن هذه الظاهرة الغريبة التي لاحظوها في تصرف جراد البحر ، قد تساعدهم على تربية مجموعات كبيرة منه .

وبما أن دراسة وسائل الاتصال المتبعة بين الأحياء المائية متفرعة ومتشعبة ، فقد وجه معهد «وودز هول» اهتمامه الى تحديد مستوى سطح البحر وتوسيع قناة «بنما» أو فتح قناة جديدة تحل محلها ، وقد مضى على دراسة هذا المشروع عدد من السنين ، فقد ظل المحيط الأطلسي بالنسبة للأسماك منفصلا عن المحيط الباسيفيكي وحتى بعد أن افتتحت قناة بنما ، لأن القناة تمر في بحيرة كبيرة من الماء العذب وهذه البحيرة تشكل بدورها حاجزا منيعا أمام تنقلات المخلوقات البحرية بين المحيطين ، لذا يرى خبراء البحر المختصون أن فتح قناة على مستوى سطح البحر سيساعد ولا شك على اعادة جمع الشمل بين أنواع الكائنات البحرية التي انفصلت عن بعضها البعض منذ ملايين السنين . ولكننا نتساءل ما اذا كان هذا العمل سيؤول بالضرر على أنواع أخرى من الكائنات البحرية التي تربطها ببعضها البعض صلات قوية وعميقة .

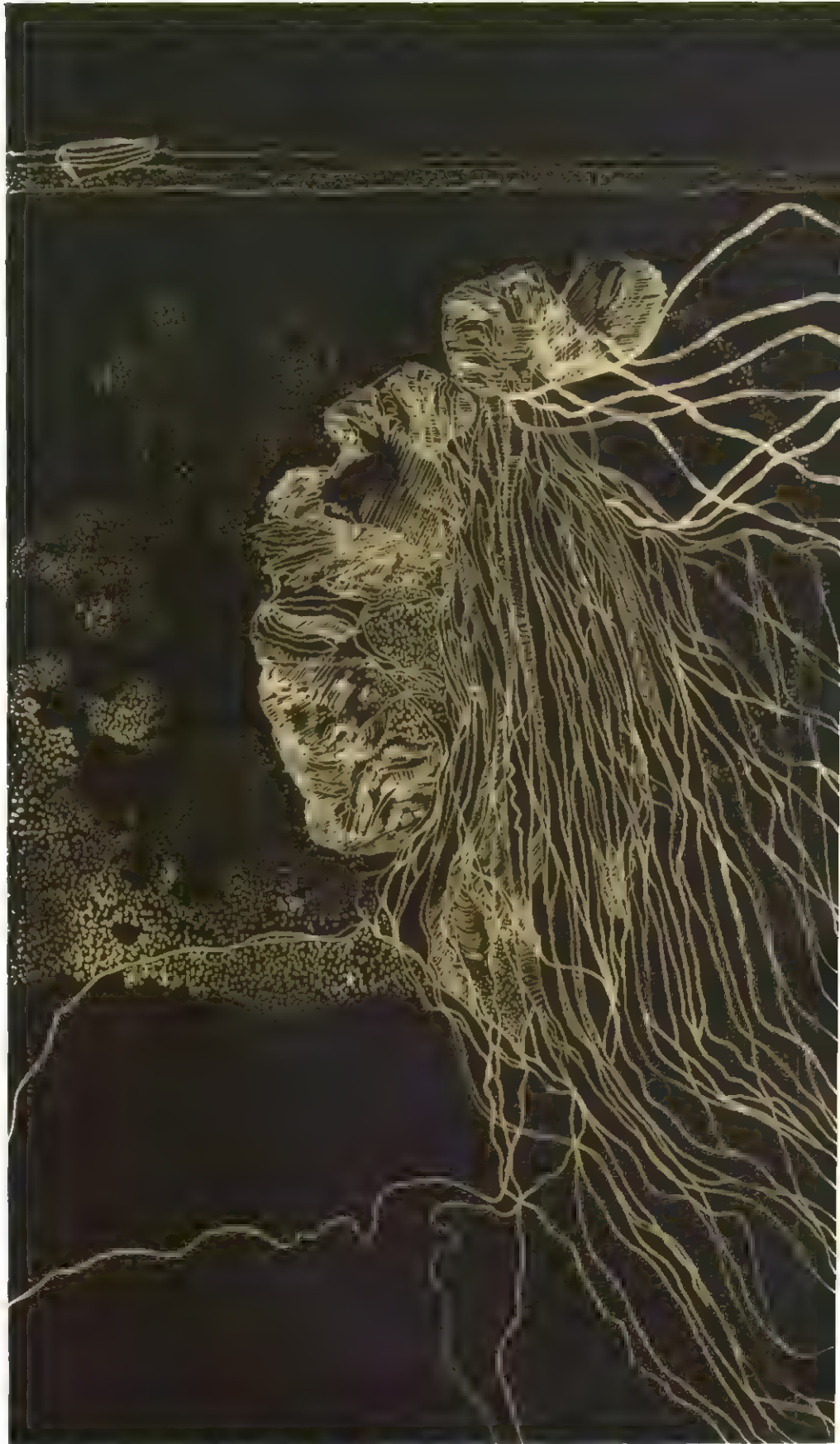
ناحية أخرى ، أجرى فريق العلماء دراسة على سمك «القوبيون - Goby» المعروف بميله العدائية رغم أنه يعيش في جماعات من بني جنسه ، وهو يستخدم اشارات بصرية وسمعية وكيميائية في اعتدائه وخداعه المستمر . وهناك أنواع أخرى عديدة شبيهة بسمك «القوبيون» يكثر وجودها على جانبي قناة «بنما» ، الى جانب نوعين منه يكثر وجودهما على ساحل المحيط الأطلسي أحدهما يعرف باسم «سوبراتور - Soporator» والآخر يعرف باسم «كوراكاو - Curacao» . بينما يعيش نوعان آخران على ساحل المحيط الهادي أحدهما ويعرف باسم «أندراي - Andrei» والآخر ويعرف باسم «راموسوس - Ramosus» وكذلك الأنواع الأخرى الموجودة على الساحل نفسه فانها تحمل الصفات الجنسية ذاتها . فالنوعان الموجودان على ساحل المحيط الهادي يمكن أن يشاهدا أحيانا في البرك التي يكونها الجزر ، مع أنواع أخرى شبيهة بهما . ومع ذلك فانهما يستطيعان أن يميزا ذكور نوعيهما

خلال موسم التلقيح ، وكذلك النوعان الموجودان على ساحل المحيط الأطلسي .

هذا وقد تبين للعلماء أن سمك القويون قد استطاع أن يطور طرق عزلته التناسلية ، وأن يعرف كيف يختار نوعه الخاص فقط ، ومع ذلك فإن هذه الظاهرة يمكن إفسادها بسهولة ، فحين وضع «قويون» المحيط الأطلسي تحت ظروف تجريبية مع شبيهه «قويون» المحيط الهادي ظهرت نتائج جديدة منها ، أنه تم التزاوج بين النوعين ، وإن العوائق البيولوجية العادية ، والاشارات الجنسية قد بطل مفعولها ، ولكن الفقس الجديد الذي تربى في الأحواض التجريبية كان يختلف عن أبويه ، وهذا ما ينم عن التشاوم ، لأن الفقس تم بطريقة التهجين ، وهذا النوع من الفقس يختلف عن النبات الذي ينمو بطريقة التزريع ، فالأول لا يستطيع التكيف مع ظروف الحياة المحيطة به ، لذلك فقد مات معظمه بسرعة ، غير أن هذه التجربة قد أظهرت على الأقل ، بين عشية وضحاها ، أنه من الممكن التغلب على عامل الانعزال أو الانفصال الذي عاشته هذه الأنواع من الكائنات البحرية ملايين السنين . وعند هذا المقترب فأننا لا ندري ما إذا كان هذا التطور المعاكس ينطبق على سمك «القويون» فقط أم على جميع أنواع الأسماك الاستوائية . لذلك فأننا سنجعل من سمك القويون نموذجا للإجابة عن أسئلة كثيرة تدور حول مدى تأثير الإنسان على الكائنات التي تكثر في مناطق المحيطات القريبة من الشاطئ . وهكذا نرى أن في كل يوم نكتشف سرا من الأسرار التي تكتنف حياة هذه المخلوقات المائية ولغاتها وغرائب عاداتها ، ومع ذلك فإن دراسة وسائل الاتصال بين المخلوقات المائية ، متفرعة ومتشعبة . وليس من السهل أن نتكهن بما سيقودنا إليه صوت الحوت .

تعلمنا شيئا واحدا مهما ، وهو أن هذه المحيطات ستكون مفتوحة أمام نشاط الكثيرين من الخبراء والعلماء ، وأملنا وطيد في أن يتمكن الإنسان من استغلال هذا الخضم الواسع من البحار الذي يشكل مصدرا هائلا للثروات الحيوانية التي سيجد الإنسان فيها مخرجا من الضائقة الغذائية التي قد يتعرض لها بنو الإنسان في المستقبل نتيجة لظاهرة النمو السكاني ■

كريالنا - هيئة التحرير



أحد قناديل البحر الضخمة «Cyancea» من بين المخلوقات البحرية العجيبة التي يجري عليها العلماء سلسلة من التجارب في هذا الحقل .

دُمُوءُ الْفَرَكَ

بقلم: الأستاذ حسن حسن سليمان

ولم يجد في هذا الظلام الدامس الذي يفرقه الا بارقة أمل واحدة : أن يواصل دراسته ، ولكن من أين يبدأ وقد بعد العهد بينه وبين المدرسة ، كان قد تركها منذ سنوات سعيًا وراء الرزق عله يستطيع مساعدة والده الشيخ واخوته الصغار في وقت عز فيه القوت واشتدت الغاية على كثير من الناس .

يقلب هذه الفكرة في ذهنه مرات **وصد** كل يوم ، لا بد له من الحصول على شهادة الثانوية وخلال عام واحد ، وأني له ذلك ، لو استطاع لكان انجازًا رائعًا يستطيع به الوقوف على قدمين ثابتتين ليبحث من جديد عن عمل يكفل له ولأسرته الحياة الكريمة . وأراد الله أن يجعل له مخرجًا فسهل له من حيث لم يحتسب أمر قبوله في امتحان « الثانوية العامة » ضمن طلبة الدراسة الخاصة . ولم يكن هذا بالنسبة اليه أمرًا سهلاً بعد السنوات الطوال التي تفصل بينه وبين عهد الدراسة . وكانت فرحته لا توصف وسعاده لا تقدر بعد أن أمسك بأول خيوط النجاة .

ولشد ما آله الا يجد لفرحته وسعاده صدى على وجوه أهله الذين لم يثقوا برأيه بل نظروا اليه بنظر الشك والريبة واعتبروا عمله محاولة غريق فاشلة . لم يحاولوا تشجيعه ،

وعاد بأفكاره يسترجع الماضي القريب ، قبل سنوات خمس خلت ، حين وجد نفسه وعلى غير توقع أو انتظار ، بلا عمل ، ولم يكن عمل حساباً لمثل هذا الموقف ، بل لم تكن ظروفه المادية تسمح له بذلك فقد كانت التزاماته أكبر بكثير من راتبه القليل . وأحس آنذاك كأنما تلقى ضربة على أم رأسه بمطرقة أطارت صوابه وأفقدته وعيه وأوقعته في دوامة ليس لها قرار وأسلمته الى اعصار لا يعرف له وجهة . وأدرك أنه يواجه الحياة وحيداً ضعيفاً أعزل ، وكثيراً ما كانت تراءى له في تأملاته صورة زوجته وأولاده الذين لم يكن يستطيع أن يصنع شيئاً من أجلهم ، فلا يلبث أن يتنابه دوار شديد ، فتميد الأرض تحت قدميه ويزيغ بصره وتهتز الأشياء أمام ناظريه ثم لا تلبث أن تتلاشى شيئاً فشيئاً ، فلا يبقى أمامه الا صورة زوجته وأولاده تسبح في ضباب .

يكن يدري ماذا يفعل ، ولو **س** درى لما استطاع ، فلا سلاح لديه من مال أو علم يواجه به الحياة . وكانت أفكاره ومشروعاته تدور في حلقة مفرغة وتصطدم دائماً بصخرة الواقع ، فيزداد كل يوم يقيناً بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً أو أنه لا يكاد يحسن شيئاً .

الاستيقظ من نومه مبكراً بعد ليلة المشوب بالقلق والتوتر والترقب للنوم سيلاً كي يتسلل الى جفنيه الا مخالسة ، ومع ذلك فقد أحس بمرح وخفة ونشاط بشكل لم يعهده من قبل ، كأنه نام أسبوعاً كاملاً . نظر الى ساعته فوجد عقاربها ما زالت تقرب من الثالثة بتثاقل وببطء كأنما أعيها طول الدوران ، فهي تدور على رغم منها وبودها لو تتوقف . وارتفع صوت المؤذن في أجواء القرية رخيماً متماوجاً مناسباً يوقظ الحياة الغافية في أحضان القرية الوداعة ويتردد صدها بين الجبال والوهاد يكسر صمت الليل ، فنزل على قلبه برداً وسلاماً وأحس له اليوم طعماً الذ وحلاوة زائدة ، فوثب من فراشه ، توضأ وصلى الصبح ، وراح يدعو الله وقلبه أكثر ما يكون صفاء ونقاء أن يحقق آماله وأن يكمل مساعيه بالنجاح .

ثم عاد واستلقى على سريره يتربص طلوع الشمس ليذهب الى المدينة مع أول سيارة تذهب اليها ، فهو اليوم على موعد مع فرحته الكبرى وسعاده الحقيقية ليحني ثمرات جهده وصبره وعرقه فقد أذيع ليلة أمس أن نتائج امتحانات السنة النهائية بالجامعة ستعلن اليوم في الصحف .



أشفقوا عليه من هذه المغامرة فنصحوه بالكف عنها والجلوس في البيت معهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون ، اذا أكلوا أكل معهم ، واذا جاعوا جاع معهم ، ولكن همته الكبيرة أبت عليه ذلك ، رفض أن يعيش عائلة عليهم ، لقد وضع نفسه أمام الاختبار المصيري الصعب فاما أن يكون شيئا أو لا يكون . فصمم على خوض تجربته بكل ما أوتي من عزم وإيمان وثقة في الله أن يأخذ بيده ولو من أجل أطفاله الصغار . ولم يكن بضايقه الا ابتسامات أهل قرينته التي تحمل وراءها معاني الحب والمكر والاستهزاء والاستخفاف ، وكانوا كثيرا ما يتغامزون عليه ويتندرون به في حضوره وغيبته ، وما زاده ذلك الا تصميمه فقرر أن ينام نهاره فيريح نفسه منهم وأن يدرس ليله مستغلا سكون الليل وهدوئه .

وسيفي العام ثقيلًا بطيء الخطى كأن أيامه شهورا ، وكان كل شيء حوله يشب من عزيمته ويبدد حماسه ، حتى زوجته على فرط محبتها له وإخلاصها ووقوفها الى جانبه انهارت مقاومتها أمام جاراتها اللاتي كثيرا ما عيرنها بما آل اليه زوجها ، فقد ضاقت به ذرعا ذات مرة حينما طلب اليها أن تخرج بابنه الصغير الذي أمعن في بكائه ، فما كان

منها الا أن صاحبت به قائلة : لو كنت أعلم أنك ستنجح لتحملت كسل هذا وأكثر ولكنك... ثم شرقت بدموعها وسكتت . وفهم ما يجول بخاطرهما ، وحز قويا في نفسه كالسكين وآلى على نفسه أن يحاسبها على ما بدر منها اذا أمكنته الأيام من ذلك ، فقد كان يرى فيها الحصن الذي يأوى اليه كلما اشتد به الضجر أو نال منه اليأس أو ثقلت عليه تعليقات الشامتين يلتمس لديها كلمة حنان أو ابتسامة تشجيع ، ولكنها ضعفت أمام المحنة ولم تصمد للاختبار . ولم يكن من السهل عليه أن يسلم بانتهاء حصنه الأخير فراح يلتمس لها في قرارة نفسه الأعداء ، فألسنة القرية لا ترحم ، وويل للبقرة التي تسقط من كثرة السكاكين .

أطفاله الصغار سلواه في محنته يفرغ اليهم يدايعهم ويرشف من عيونهم وأفواههم معاني الحب الخالص وهو يسمع ابنته ذات السنوات الثلاث تدعو الله بصوتها الذي يقطر براءة وطهرا : « يارب ينجح بابا في الامتحان » وكان وجوده بينهم ينسبه ما يشغل صدره من ضيق ولو الى حين ، فسرعان ما يرتد الى واقعه المولم المليء بالمخاوف مما يخبئه لهم الغد .

وكانت نتيجة الامتحان على غير ما توقع الناس وتوقع هو نفسه ، فقد كان من الأوائل ، وإذا الذين كانوا بالأمس يستهزئون به يتوافدون عليه مهئين ، وقد كظموا غيظهم وكتموا مشاعرهم في صدورهم .

ويريد الله أن يتم نعمته عليه فرشحته الحكومة الى بعثة دراسية في الجامعة ، ووجد نفسه بين عشية وضحاها في رحاب الجامعة في جو لم يألفه من قبل ، ولم بدر في خلده يوما أن يدخل الجامعة ولو زائرا . ولازمه شعور بالاغتراب سنا وثقافة في هذا الجو الجديد ، ولم يكن دربه فيه خلوا من الصخور والأشواك والعقبات ، ولكنه استعان على السير فيه بشجاعته وعزمه وثقته بنفسه التي ارتدت اليه قليلا . وما يزال يذكر المحاضرات الأولى في اللغة الانجليزية ، كان يستمع ساعات الى أستاذه الأمريكي دون أن يفقه حرفا مما يقول مما أشعره بتضاوله أمام نفسه بالقياس الى زملائه ، كان يرى نفسه قزما وإبراهيم عمالقة ، وما كان يطيق وجوده في قاعة المحاضرات دون أن يفهم شيئا مما يدور فيها سوى أنه درس في الانجليزية ، وتكرر هذا الموقف في

المحاضرات التالية وشعوره بالتضاؤل يلازمه ويمعن حفرا في نفسه يوما بعد يوم ، حتى هم بترك الجامعة والبحث له عن عمل ، وكان اذا خلا الى نفسه يتساءل عما اذا كان يحق له أن يضيق ذرعا بالجامعة وهو المبتعث فيها بينما يدرس فيها زملاؤه على حسابهم الخاص ، واذا كان يلاقي فيها صعوبات في بعض المواد ألم يسبق له أن اجتاز فحص الثانوية بتفوق وهو الذي لم يسبق له دخول امتحان قط . أين همته وعزمه وإيمانه ، وقرر مواصلة المسير مهما كلفه من جهد بلا شكوى .. وطلب من أستاذه الأمريكي أن يوثق له على الموضوعات المقررة في فهرس الكتاب ، ولم ينس بعد كيف قضى اثني عشرة ساعة متواصلة في تحضير الموضوع الأول ، فقد استمر في جلسة واحدة لم يبرح مكانه من الرابعة مساء حتى الرابعة صباحا لكنه ذهب الى الجامعة صباح ذلك اليوم وهو يحس في نفسه بقوة غريبة وثقة كبيرة لا حد لها ، وتصدى لاسئلة أستاذه بكل جدارة فقد هضم الموضوع هضمًا تاما ، لم يترك كلمة واحدة فيه الا بحث عن معناها في « القاموس » وهو اذ يتذكر ذلك الآن يفرق في الضحك لأنه بحث في القاموس يومها عن معاني جميع كلمات القطعة ما سهل منها وما صعب فقد استغفلت عليه جميعها واستعجمت ومع الأيام أحس باللغة الانجليزية وسائر الموضوعات الأخرى تلى بين يديه ، وأصبحت له طبيعة سهلة القيادة . وكانت مفاجأة له أن يكون من المتفوقين في امتحانات الفترة الأولى وأن يحصل على المرتبة « الثالثة » بين زملائه وحتى اللغة الانجليزية التي كانت في أول الأمر شرودة منه صعبة المراس عليه مغلفة الأبواب دونة فقد حصل فيها على درجات لم يكن يتوقعها بل ولفتت اليه الأنظار .

ثقة بنفسه ، وصمم على أن يكون « الأول » بين زملائه في الامتحان النهائي ما دام قد حصل على المرتبة « الثالثة » فضاعف من جهوده وسط تشجيع أساتذته وأصدقائه وعارفيه ، حتى كان له ما أراد .

وتبدلت نظرة الناس اليه في القرية حتى أصبح مثلا يضربه الآباء لأبنائهم ليستحثوهم على الدرس والتحصيل . واحس بأنه لم يعد يواجه الحياة ضعيفا وحيدا أعزل ، فقد أصبح في يده السلاح ، وأصبح قادرا على أن يفعل

شيئا ، وشيئا كبيرا ، ولكنه مع ذلك كان يعلم أنه ما زال في بداية الطريق وأن أصبحت طريقه أكثر ليانا وسهولة وأقل وعورة .

ما يلقاه من احترام وتقدير من أساتذته وزملائه بالجامعة يملأ نفسه غبطة وزهوا وفخارا ، ويدفعه الى المحافظة على النجاح الذي حققه ، فليس مهما أن يصل الى القمة بل الأهم من ذلك أن يستقر عليها يقدم راسخة ثابتة فالراجع الى الوراء ولو قليلا معناه هدم كل ما بناه وفقدانه رصيده الضخم من حب الناس له واحترامهم اياه .

وفي الجانب الثاني كان كثيرون ممن لم يعرفوا ظروفه يغبطونه ويظنون أن عجبته الى الجامعة ترف علمي بعد أن بنى لنفسه أسرة سعيدة ووفر لها من عمله الطويل السابق مبلغا محترما يكفل لها العيش الرغيد ، فما عليه اذن ألا يتفوق في دراسته الجامعية ما دام كل شيء مهيا له وما دام لا يشغل فكره بما يشغل أفكار غيره من الطلبة في مقبيل الشباب . وكان يعذر هؤلاء الذين لا يعلمون من أمره شيئا الا ظاهره ، وويل للشجي من الخلق .

كان حريصا على أن يكون عند حسن ظن أساتذته به ، فقد كانوا يعاملونه كأنه زميل لهم ، وقد كان بسنه وسلوكه العلمي والاجتماعي جديرا بهذه المعاملة ، حتى أصبح في الجامعة ظاهرة فريدة تلفت النظر ، فكثيرون عرفوا ظروفه وعرفوا أنه يكافح في أكثر من ميدان فهو ذو عائلة وأطفال يستهلكون الكثير من طاقته وفكره ووقته وقد استطاع التوفيق بين التزاماته نحوهم والتزاماته نحو دراسته .

ومضت به السنوات سريعا في الجامعة يحرز النجاح تلو النجاح ولا يزيد في قلوب الناس من حوله الا حبا وتقديرا ، حتى أنهم دراسته وهو اليوم ينتظر بصبر كاد ينفد أن يمد يده ليقطف الثمرة بعد أن تعهد الغرس فأحسن، ورواه فأجاد .

وأحسن بأشعة الشمس تسلل من نافذة غرفته فارتدى ملابسه على عجل وانطلق الى ساحة القرية واستقل أول سيارة ذاهبة الى المدينة ، وهناك اندفع ملهوا نحو باعة الصحف الذين علت أصواتهم مرددين : نتائج امتحانات الجامعة اليوم . التقط من أحدهم جريدة وراح نظره يلتهمها حتى استقرت عيناه على اسمه في طليعة أسماء الناجحين فقرأ نتيجةه والحروف تراقص أمام عينيه من خلال دموع الفرح ■

حسن حسن سليمان - صفوى

شعرك من طه حسين

الأستاذ : ثروت أباطة *

عرض وتعليق :

الدكتور شكري محمد عياد

هذا أول كتاب يصدر عن طه حسين بعد وفاته. وما أكثر ما كتب عن طه حسين في حياته من المقالات والكتب . بل ان من طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية وغير العربية ممن اختاروا جوانب من أدب طه حسين ليعدوا حولها اطروحاتهم ، وقد جرى العرف في معظم جامعات العالم على الا نكتب اطروحات علمية عن الاحياء ، ولكن طه حسين كان قد أصبح معلما من معالم الأدب العربي لا سبيل الى الشك فيه ، وترك في تاريخ هذا الأدب سمات لو شاء هو نفسه أن يغيرها لما استطاع . وقد كتب طه حسين سيرته بقلمه في كتابه « الأيام » بأجزائه الثلاثة ، كتبها في صراحة لا أحسب أن أحدا من كتاب العربية استطاع أن يجاريه فيها . ترى ماذا يستطيع ثروت أباطة أن يضيف الى هذا الانتاج الغزير حول طه حسين وأدب طه حسين ؟ سؤال لا بد أن يجول في ذهنك حين تتناول هذا الكتاب اللطيف الحجم مقلبا صفحاته المائة والخمسين ، التي أضيف اليها قرابة ثلاثين أخرى من الصور التذكارية . ولكن ثروت أباطة يفاجئك بما لم تكن تتوقع ، فهو لا يكتب سيرة لطله حسين ولا دراسة في أدب طه حسين ، وانما هو يسوق اليك حديثا شخصيا حميما عن طه حسين ، حديثا لا تكاد تميز فيه طه حسين الأديب عن طه حسين الانسان ، بل لا تكاد تميز فيه طه حسين من ثروت أباطة . ومن هذه الصفة الشخصية الحميمة يستمد الكتاب قوته ، وفيها أيضا يكمن ضعفه . فأنت اذا حاسبت كتاب ثروت أباطة بمقاييس الدراسة الأدبية وجدته لا يكاد يثبت للنقد . فهو شخصي الى أبعد حدود الشخصية ، يتحدث عن ثروت أباطة ووالده المرحوم دسوقي أباطة باشا بمقدار ما يتحدث عن طه حسين أو أكثر مما يتحدث عن طه حسين ، ولا يتناول أدب طه حسين الا بلمحات خاطفة قد لا تعوزها ومضات القارئ الذكي ولا لمحات الكاتب الخبير ، ولكنها لا تقدم اليك تحليلا ولا شبه تحليل لمنهج طه حسين في النقد ولا لأسلوبه في كتابة القصة ، وهما الجانبان اللذان عني بهما

ثروت أباطة من أدب طه حسين . ولكنك اذا نظرت الى كتاب ثروت أباطة على أنه مذكرات شخصية تكشف لك بعض خفايا الحياة الأدبية في مصر أثناء العشرين سنة الماضية ، وتقدم اليك صورا قلمية لطله حسين في المرحلة الأخيرة من حياته ، تلك التي لم يتسع له الوقت أو لم يسعفه الجهد ليمليها جزءا جديدا من الأيام ، فلا بد أن تحكم بأن هذا الكتاب اللطيف بصفحاته المائة والخمسين يهيء للجيل الحاضر والأجيال التالية وثيقة عظيمة الخطر نادرة القيمة . فثروت أباطة كاتب لا تعوزه الصراحة ، ولا الجرأة ، وقد لابس أو لامس أساطير الأدباء والنقاد على اختلاف نزعاتهم طوال هذه الفترة ، كما أتبع له أن يتصل عن قرب بطله حسين ، وأحسبه كان من أقرب أصفياه ، فهو يمثل الجيل الثاني من الأدباء الذين رعاهم عميد الأدب ، وكان من دأب طه حسين أن يأبو الباحثين الشبان والكتاب الشبان في كتبه ومجلسه ، فخرج منهم جيلا أصبحوا اليوم من شيوخ الأدب ، ومنهم من انتقل الى جوار ربه قبل الدكتور طه حسين ، كالدكتور محمد كامل حسين ، والدكتور محمد مندور والدكتور عبد اللطيف حمزة . ولكن الجيل الأول من هؤلاء التلاميذ كانوا باحثين أكاديميين ، أما ثروت أباطة فقد كان عاشقا لأدب طه حسين (والعاشق لا يرى الا محاسن المعشوق) ، ولعلي لا أغلو اذا قلت أنه يمثل بأدبه التراث الحي لطله حسين القصاص . ولا شك أن ثروت أباطة قد استلهم شيئا من جرأة استاذة عندما قدم الينا هذا الكتاب الذي قد تتناوله على أنه سيرة لطله حسين أو دراسة لأدبه ، فاذا قرأته وجدته يفلت متعمدا من حدود السيرة أو الدراسة الأدبية . وقد لا ينبغي أن تقاس قيمة الكتاب دائما بما يذل صاحبه من جهد في كتابته ، أو بما يبذله قارئه من جهد في قراءته . فأنت تقرأ كتاب ثروت أباطة في جلسة مستريحة ، وتحس أنه كتبه مستروحا كذلك ، ولكنه كتاب قيم حقا لما يحمله من شهادة صادقة على معاناة جيله ■

د. شكري محمد عياد - جامعة الرياض

خبر الكتاب



« أخرج مجمع اللغة العربية بالقاهرة طبعة ثانية منقحة ومزينة من «المعجم الوسيط» في جزئين كبيرين اشتملا على كثير من المصطلحات العلمية والمفردات الحديثة التي أصبحت الى اللغة العربية في السنوات الأخيرة .

ولئن كانت الطبعة الأولى قد ظهرت بأشراف العلامة الراحل أحمد حسن الزيات وزملائه ، فقد ظهرت الطبعة الثانية بعناية الدكتورين ابراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر والأستاذين عطيه الصواخري ومحمد خلف الله أحمد وأشرف الأستاذين حسن علي عطيه ومحمد شوقي أمين . ولقد مهد الطبعة أمين المجمع العلامة الكبير الأستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مذكور .

كذلك أصدر المجمع المجلد الخامس عشر من «مجموعة المصطلحات العلمية والفنية» التي أقرها تتناول مصطلحات في الفيزياء النووية والاقتصاد والكيمياء والجيولوجيا والمياهات (الهيدرولوجيا) والتاريخ والحضارة وعلوم الاحياء والبرول واللغة والفلسفة ، ولقد صدر هذه المجموعة بنفسية الدكتور ابراهيم بيومي مذكور أمين المجمع .

« كتاب نفيس من «الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري» عند العرب والترك » صدر للعلامة الدكتور حسين مجيب المصري ، عرف فيه بهذه الشخصية الدينية الكبيرة وبالعصر الذي عاش فيه وبمعاصريه ، ولقد نشرت الكتاب مكتبة الانجلو المصرية نفرا جميلا .

ومن كتب السير التي صدرت أخيرا «أطياف من حياة مي» للأديب الراحل الأستاذ طاهر الطنحاني ولقد نشر في سلسلة «كتاب الهلال» ، و «صوت السماء بلال بن رباح» للأستاذ عامر العقاد ولقد نشر عن دار الشعب ، و «زينب ابنة الزهراء وبطلة الفداء» للأستاذ علي أحمد شلبي ونشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

« الأدب الأردني الكبير » الأستاذ عيسى الناعوري ترجم الى اللغة العربية الرواية الايطالية المشهورة «الفهد» لنومازي دي لاسيدوزا بمقدمة ضافية للمستعرب الايطالي أومبرتو ريتتانو . ولقد طبعت هذه الرواية طبعا أنيقا وصدرت عن المعهد الثقافي الايطالي في بيروت . كذلك صدرت للأستاذ الناعوري رواية طويلة عنوانها «ليلة في القطار» نشرت في دار فيلادلفيا في الأردن .

« وفي الأدب الروائي ظهرت الكتب التالية : «العمر لحظة» رواية للأستاذ يوسف السباعي ونشر مكتبة الخانجي ، و «الكركنك» رواية

العربي » للمستشرق بلاشير ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني ونشر وزارة الثقافة بدمشق ، والحلقة الأولى من كتاب «صور من الحضارة العربية الإسلامية» وهي تتناول «الأحذية والنعال في التاريخ والأدب» ، ولقد صنف هذا الكتاب الطريف الدكتور ابتسام مرهون الصفار والدكتور بدري محمد فهد ونشر عن مطبعة النعمان بالنجف ، و «في الأدب وفنونه» للأستاذ علي بوملحم ونشر المطبعة العصرية بصيدا ، و «هوامش تراثية» للأستاذ هلال ناجي وهو تعليقات على طائفة من كتب التراث صدر عن مطبعة العاني ببغداد ، و «شعراء من أمريكا الجنوبية» ترجمة وتعريف الأستاذ سعد صائب ونشر وزارة الاعلام في بغداد ، و «الحكاية الخرافية : نشأتها ، مناهج دراستها ، فنيها» لفون ديرلاين وترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم ومراجعة الدكتور عز الدين اسماعيل ونشر دار القلم ببيروت .

« صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كتابان دينيان هما «الهجرة نصر للإسلام والمسلمين» للأستاذ سعد صادق ، و «بيوت الله في السلم والحرب» للأستاذ عزت القاضي .

« دواوين الشعر الجديدي هي : «أطياف ومرايا» للشاعر الدكتور عفيفي محمود ونشر القاهرة ، و «ديوان الرافعي» للمرحوم الشاعر عبد الحميد الرافعي ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و «ظل الفارس النحاسي» للأستاذ عادل البياطي وطبع مطبعة الأديب البغدادية ، و «كأس الصدود» للأستاذ علي الشوبكي ونشر العراق .

« كتابان عن الأعمال اليدوية صدرا أخيرا هما «فن الكروشية» - الجزء الأول - للأديبة فتحية غيث ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و «الأعمال اليدوية» للأستاذ محي الدين طالو ونشر مكتبة أطلس بدمشق .

« أصدر الدكتور محمد عبد الله أبو علي كتابا عنوانه «التنظيم الاجتماعي للصناعة - دراسة اجتماعية لصناعة تكرير البترول في مصر» ، ونشرت الكتاب الهيئة المصرية العامة .

« «الخلافة الأموية من سنة ٥٩٥ الى سنة ٥٩٦» عنوان كتاب جديد للأديب عبد الأمير دكسن صدر عن دار النهضة العربية ببيروت .

« كتاب في علم الفلك عنوانه «السموات السبع» صدر للدكتور محمد جمال الدين الفندي ونشرته الهيئة المصرية العامة

للأستاذ نجيب محفوظ ، ونشر مكتبة مصر ، و «فارس الفرسان» رواية للدكتور أحمد كمال زكي ونشر دار الفكر العربي ، و «أكسير الحياة» رواية للدكتور محمد عزيز الحياصي ونشر دار الهلال ، و «الزمن الموحش» رواية للأستاذ حيدر حيدر ، و «العراء» مجموعة أقاصيص للدكتور سهيل ادريس ونشر دار الآداب ، و «لا ترفلي عودتي» مجموعة أقاصيص للأستاذ رستم كيلاني وتذييل لعميد القصة الراحل محمود تيمور ونشر دار الفكر العربي ، و «العري في صحراء ليلية» مجموعة أقاصيص للأستاذ محمود الريماوي ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و «حمص أخضر» رواية للأستاذ اسماعيل ولي الدين ونشر «سلسلة كتابات معاصرة» ، و «مأساة كربولانس» لشكسبير وترجمة الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا ونشر وزارة الاعلام في الكويت .

« من الجديد في كتب التراث ما يمل : الطبعة الثانية المنقحة والمزينة من كتاب «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الحمصي ولقد حققه في جزئين كبيرين العلامة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر وصدر عن دار التراث ، وأجزء الثالث من كتاب «اتعاطا اختفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ ولقد حققه الدكتور محمد حلمي محمد أحمد ونشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وأجزء الأول من «شرح أبيات مغني البيه» تصنيف عبد القادر بن عمر البغدادي وتحقيق الأستاذين عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ونشر دار البيان بدمشق ، و «شعر ابن لنكك البصري» جمع وتحقيق الأستاذ زهير غازي زاهر ونشر بغداد ، و «شعر الخباز البلدي» جمع وتحقيق الأستاذ صبيح رديف وطبع العراق ، و «شعر مروان بن أبي حفصة» جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان ونشر دار المعارف و «الرد الخميل» للإمام الغزالي تحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق وتقديم فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيسار ونشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

« أحدث كتاب صدر عن عميد الأدب العربي الراحل كتاب عنوانه «طه حسين في معاركه الأدبية» للأستاذ سامح كريمة بمقدمة للدكتور سهر القلماوي ونشر في سلسلة «كتاب الاداعة والتلفزيون» .

وفي الدراسات الأدبية صدرت طائفة من الكتب منها الجزء الأول من «تاريخ الأدب

كانا الحزين من العرب من الله سبحانه

بقلم: الدكتور نقولا زيادة

وقال : عرب ؟ قلنا : نعم ، يومها أدركت أن في هذه المدينة ، التي تقوم في هذه الزاوية النائية من افريقية الشمالية ، والتي كانت « مدينة دولية » فتيانا صغارا يربطون بين أنفسهم وبين عرب المشرق .

وانتظرت عشرين سنة حتى زرت « طنجة » مرة ثانية (١٩٥٩) . ولكن منذ ذلك الحين تكررت زياراتي للمغرب ، وفي كل مرة كان لا بد لي من زيارة « طنجة » ، لا للاستراحة من معلميها مرة بعد مرة ، ولكن لأنني أعز

وخمسين مترا عن سطح البحر ، ويزاحم البيت منها البيت المجاور ليؤكد كل واحد منها ان له على ذلك التل مكانا ، بحيث كنت ترى سطوحا أكثر مما كنت ترى أبنية .

ولما نزلنا في طنجة لبضع ساعات ، أشرت على صحتبي أن نزور المدينة القديمة الأصلية . وقبل الصبح ذلك وأخذنا نتسلق الشوارع الضيقة من الميناء الى وسط طنجة . وانضم إلينا فتى يافع أراد أن يكون لنا دليلا . ولما سمعنا نتكلم العربية برقت عيناه وانبسطت أساريره

ذلك سنة ١٩٣٩ ، عندما كنت عائدا من بريطانيا الى الوطن بحرا . ولما أذنت السفينة بوداع المحيط الأطلسي واستقبال البحر الأبيض المتوسط اختصارت « طنجة » نقطة للوداع والاستقبال . وعند الصباح الباكر صعدت مع ثلاثة من الأصدقاء العرب كنا مسافرين سوية ، الى سطح الباخرة ، التي أخذت تخفف من سرعتها متهادية لتدخل الميناء . القينا نظرة على « طنجة » فرأينا مدينة بيضاء تربع على امتداد تل يرتفع نحو مائة





مدخل على شكل قوس يقضي الى أحد الشوارع
القديمة في مدينة طنجة .



جانب من رواق الجامع الكبير في طنجة وقد بدت
التفاصيل الزخرفية تجل أعمدته وأجهته العليا بوضوح .

من المدن العربية الاسلامية ، فكانت تتبع
الأمويين ثم الأدارسة ثم الدول التي قامت في
اسبانيا والمغرب .

ومن الآثار الاسلامية في طنجة السوق
الكبيرة ، وهي ساحة واسعة ، لم تخطط على
أساس معين ، ولكن مع الزمن دارت بها
الحوانيت والمطاعم والمقاهي ، ولكنها تظل
مدخل المدينة القديمة . وبعض هذه المباني
لها أبواب هي تقليد للقديم . وعند آخر هذه
السوق يقوم باب فاس أو باب الفحص المؤدي

تجاري كبير على أيدي القرطاجيين ، اذ كان
الفينيقيون يقصدونها مركزا لتجارتهم مع غرب
البحر المتوسط وسواحل المغرب الأطلسية والجزر
البريطانية . كما أن المدينة مرت عليها التجارب
المختلفة فيما بعد ، فجاءها الرومان والفندال
والبرنطيون . وفي سنة ٥٦٣ هـ (٦٨٢م) ، احتلها
القائد العربي «عقبة بن نافع» ، ثم اتخذها
«موسى بن نصير» مركزا لجنوده قبل عبوره
المضيق الذي سمي باسمه ليغزو اسبانيا .
ومنذ ذلك الوقت ، أصبحت مدينة «طنجة»

بصدافقة نفر من أهلها ، كان لا بد من أن
أزورهم والتقي بهم بين الحين والآخر . وهذه
الصلة هي التي قوت الرابطة التي أشعر بها
نحو «طنجة» ، كما أشعر ، في واقع الأمر
نحو مدن المغرب العربي من «درنة» الى
«الدار البيضاء» و «مراكش» .

«طنجة» مدينة قديمة . بل لعلها أقدم
مدينة في المغرب . وقد مرت عليها أيام عز



سمات الزخرفة العربية الجميلة تنمكس على هذا العمود الأثري .

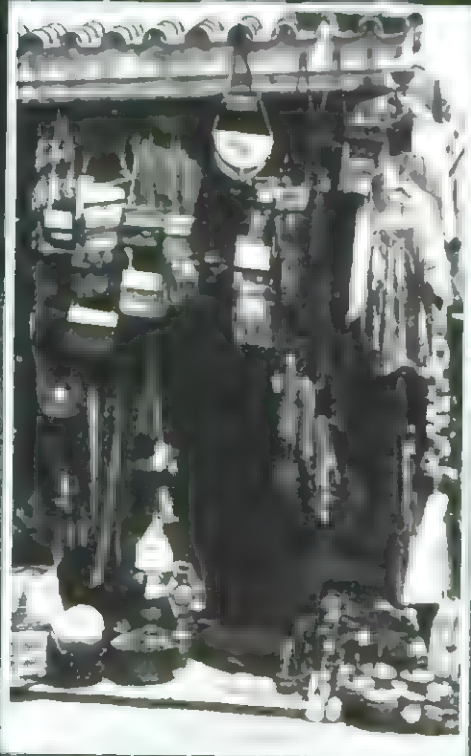


جانب من حديقة جميلة تزين باحة قصر السلطان في طنجة .

١٠٨٢ - ١١٣٩ هـ (١٦٧٢ - ١٧٢٧ م) سلطانا على المغرب رأى أن يعيد الى المدينة ، بعد أن استرجعها من البرتغاليين رونقها ، فبنى فيها هذا الجامع الكبير . وقد زخرف داخله بالخشب ، ومحرا به جميل جدا . والمولى اسماعيل كان ، ولا شك من أبرز حكام المغرب اطلاقا . وقد وسع في رقعة الجامع المولى سليمان سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٥ م) . وتقوم في مقابل الجامع مدرسة مربية الأصل تعود الى عهد أبي الحسن علي المريني (٧٣٢ - ٨٧٤ هـ / ١٣٣١ - ١٣٥٠ م) .

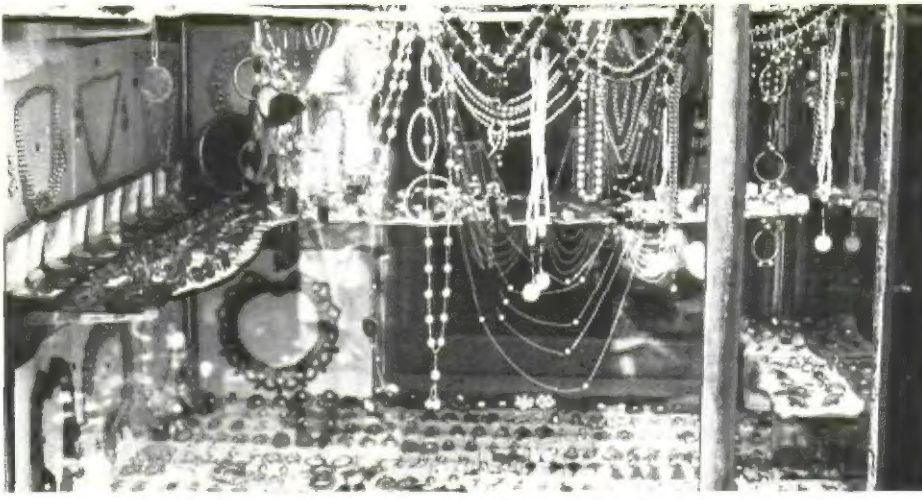
واذا ما سار الزائر في اتجاه البحر ، أو في شارع البحر ، فانه يقترب على أثر من أجمل آثار طنجة وهو جامعها الكبير حيث يزدان قوس أحد أبوابه بالزخارف المنقوشة بالحص المخرم ، ومثلثته أو صومعته المزخرفة بالزليج (القيشاني) الأخضر تتخللها أشكال هندسية هي مقصد الزوار في المدينة . وقد كان في طنجة مسجد جامع قديم ، لكنه تهدم بسبب الحروب التي مرت بها المدينة . فلما كان المولى اسماعيل

الى السوق الصغيرة ، وهنا توجد أبنية يرجع تاريخ بنائها الى نحو مائتي سنة وتضفي على المكان رونقا وجمالا ، لأنها مبنية وزخرفة على الأسلوب المغربي القديم . ومن أجمل الشوارع الموصلة من باب فاس الى السوق الصغيرة شارع الصاغة . وليس المهم أن هذا الشارع يكثر فيه بائعو الذهب المصوغ والمجوهرات ، ولكنه معرض صغير مزدحم لصناعة الحلي الذهبية والفضية المغربية ، وهي صناعة أنيقة لطيفة .



خانات تجاري في السوق الكبيرة في طنجة

أحد الأسواق التجارية في طنجة



مجموعة من الحلي الذهبية والفضية المغربية يحويها متحف طنجة في القصة .

والقصة في مكان مرتفع بالنسبة الى مدينة طنجة ، وهي لا تختلف عن غيرها من القصبات . فبعد أن يسير الزائر الى القصة مروراً بحداق القبطان أو بالمدينة الجديدة ، يصل الى بوابة القصة ، فطالع ميدان الطابور ، حيث كان « ولي الأمر » يستعرض جنوده وحرسه الخاص . والواقع أن الزائر لا يجد في بوابة القصة هنا ما وجدته في أبواب قصة الرباط وغيرها من بناء معقد للدفاع . وحتى السور الذي يحيط بالقلعة ودار السلطان من جهة البحر ليس حصينا الى درجة كبيرة .

وهذا سببه ارتفاع القصة نسبياً ، وصعوبة الوصول إليها تسلقاً من البحر . والاسم الذي يطلق على مقر « ولي الأمر » هو « قصر السلطان » أو « دار المخزن » . وقد أصبح هذا البناء الجميل المزخرف الواسع ، بقاعاته المتعددة ، متحفاً أثرياً فنياً للمدينة . والبناء كله مغربي الشخصية زخرفاً ، كما يبدو من النظر الى باب إحدى القاعات وأرضها ، كما أن المحتويات مغربية ولنضع بين أيدي القراء مثلثين الأول ، صندوق خشبي من صنع القرن التاسع أو القرن العاشر للهجرة (أي الخامس عشر أو السادس عشر للميلاد)



باب مزخرف في مبنى قصر السلطان أو « دار المخزن » في طنجة .

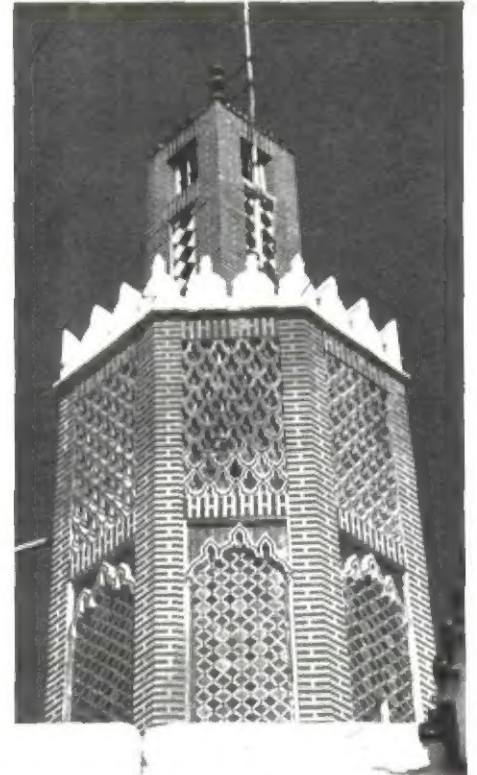


باب فاس الواقع بين السوق الكبيرة والسوق الصغيرة في طنجة .

أما وقد وصل الزائر الى هذه النقطة فليواصل سيره الى البحر حيث يصل الى الشاطئ الشرقي لطنجة . وليس هناك من الآثار القديمة سوى أسماء الأماكن أو بقية منها ، مثل « برج المرسى » الذي أصلح في أواخر القرن الماضي .

ولينتقل الزائر الى القصة ، وهو في خيار من أمره فاما أن يتعرج مع الأزقة والشوارع الضيقة من السوق الصغيرة الى القصة ، أو أن يذهب إليها في سيارة عبر الجزء الجديد من طنجة . والا فانه لا يستطيع أن يرى هذه الطرق القديمة التي تبدأ بعقد وتنتهي بعقد . وهي أقواس مبنية من الآجر (القرمذ) الرقيق ، أو أحد الأبواب المزخرفة . ولكن السير في أنحاء المدينة الجديدة للوصول الى القصة يتيح للزائر زيارة حديقة المندوبية ذات الأشجار الجميلة الضخمة والتي يقرب عمرها من ثمانمائة عام .

مثل كل قصبة في مدن المغرب العربي جمعاء ، وحدة مستقلة عن المدينة ، لها سورها الذي يدور بها ، ولها مسجدها الجامع ومدارسها وأسواقها ، وبها قصر لاقامة « ولي الأمر » وقلعة متصلة بالقصر أو هي جزء منه أو هو جزء منها ، كانت قد أقيمت لأغراض الدفاع . وتقوم



الجزء العلوي من المئذنة المئنة التابعة لجامع القصة الأثري .



جانب آخر من رواق الجامع الكبير في طنجة

تصوير : خليل أبو النصر

بلاط السلطان أبي عنان . ومن فاس خرج في رحلتين الأولى الى الأندلس والثانية الى السودان الغربي (١٣٥٢/٧٥٢) وهذه الأخيرة دامت سنتين وتوفي ابن بطوطة في المغرب سنة ١٣٦٨/٧٧٠ - ١٣٦٩ .

بلاط أبي عنان المريني تحدث ابن بطوطة عن أسفاره - وقص أخباره على السلطان نفسه وعلى خواصه وعلى العلماء . فاعجب السلطان بها ، ولذلك صدرت أراذته الى الرحالة بأن يعلي ما شاهده في رحلته من الأمصار ، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار وعلمائها الأخيار وأوليائها الأبرار ، ووضع السلطان كاتبه ابن جري تحت تصرف الرحالة . فكانت لنا من ذلك هذه المتعة الأدبية التي نلنا من ذلك ، فقرأتها فنتطلع على كنوز من المعرفة ، فنذكر بالخير الرحالة والسلطان وابن جري ■

نقولاً زيادة - بيروت

أهل القلم لعل أشهرهم هو « ابن بطوطة » الرحالة الكبير . ومع أنه ليس من المؤلفين أن نتعرض الى هذه الناحية بالنسبة الى المدن التي تعرضنا لآثارها الاسلامية ، فالتنا نحن أن نخرج عن هذا المؤلف ونشير الى هذا الرحالة العبقري . فهو من مواليد طنجة (سنة ٥٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م) ، وفي هذه المدينة درس العلوم الشرعية على ما عرف عن أسرته من اهتمام بها . وقد بدأ « ابن بطوطة » رحلته وهو في الثانية والعشرين من سنه ، فاجتاز شمال افريقية الى الاسكندرية ومن هناك انتقل الى القاهرة ثم الى الشام حيث رافق الحاج الشامي الى المدينة المنورة ومكة المكرمة .

وبعد تطواف دام سنين ، منها ثمانية أعوام قضاها في الهند وغيرها في جنوب شرق آسيا ، عاد الى مصر ومنها الى طنجة عام ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م ، وحط رحاله بعد ذلك في فاس في

وتبدو فيه بساطة الصنعة ودقتها ، والثاني حلي مغربية ذهبية وفضية .

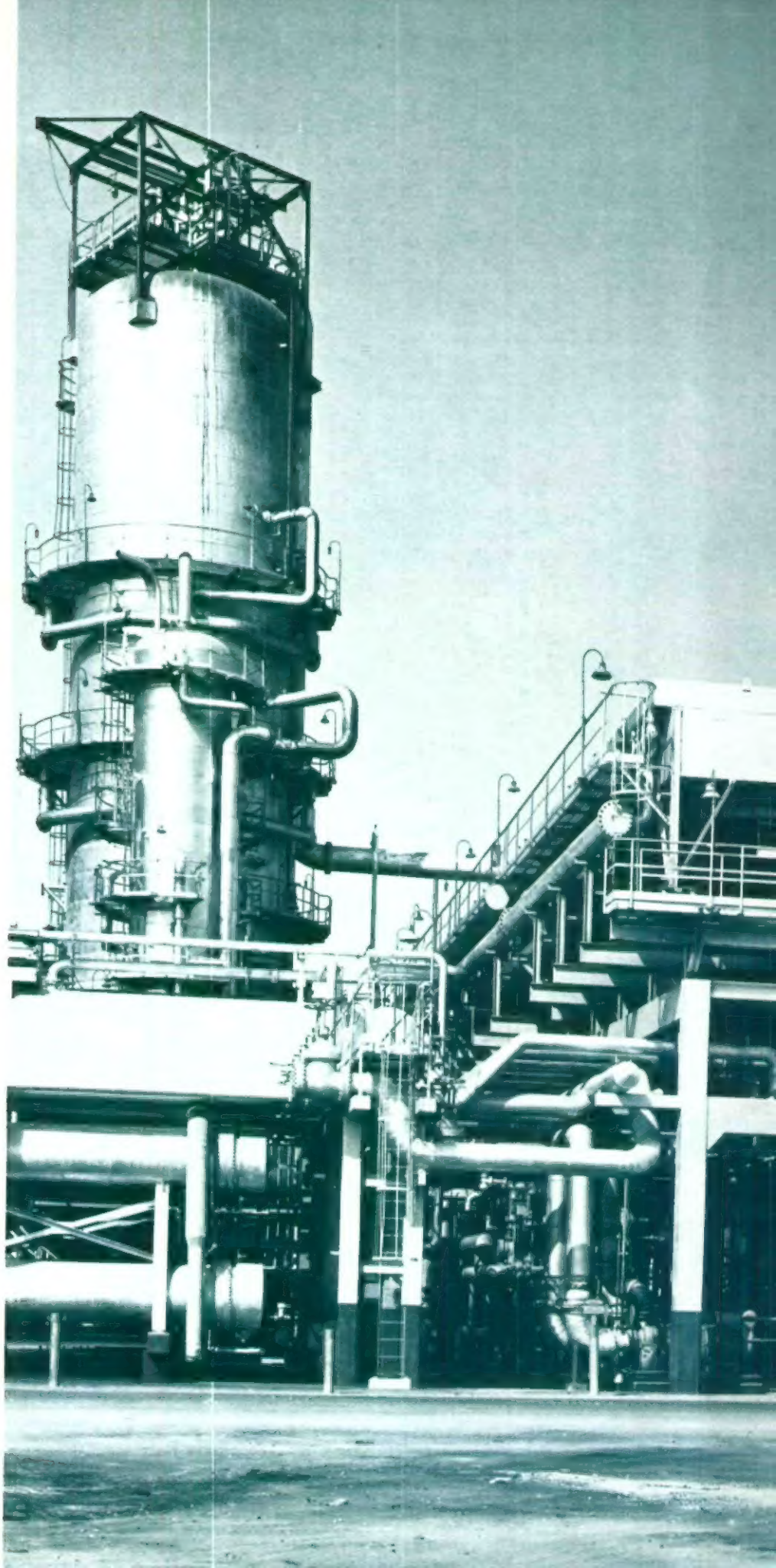
ولدى تنقله وتجوّله في القصبة ، يجتاز الزائر شوارع مبلطة على غرار الفسيفساء ويتمتع الطرف بحداثق قصر السلطان الجميلة .

في القصبة ثلاثة أشياء تحكي قصصاً قديمة في التاريخ والفن :

أحدها المحكمة الشرعية في القصبة وواجهتها مزخرفة زخرفة مغربية جميلة . وثانيها بيت المال المكونة واجهته من ثلاثة أقواس بسيطة لكنها آية في الاتساق . وبيت المال يرجع الى أيام المولى اسماعيل ، مثل الجامع الكبير في المدينة . وأما الثالث فهو منمنمة جامع القصبة المئمة ذات التفاصيل الزخرفية الدقيقة . على أن طنجة ، مثل غيرها من المدن العربية الاسلامية ، لها آثار من نوع آخر . فقد أنجبت ، كما أنجب غيرها ، جماعة من



نظر آتی ہے آغاز میں اماطیوں کے وقت
بالزخارف والنقوش بالاعمال الخزف



جانب سے برقی و مدنی قطفہ کے ذریعے کاغذ برقی سے بنو